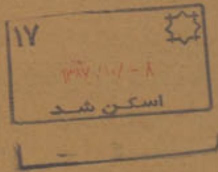
ارالله صفری

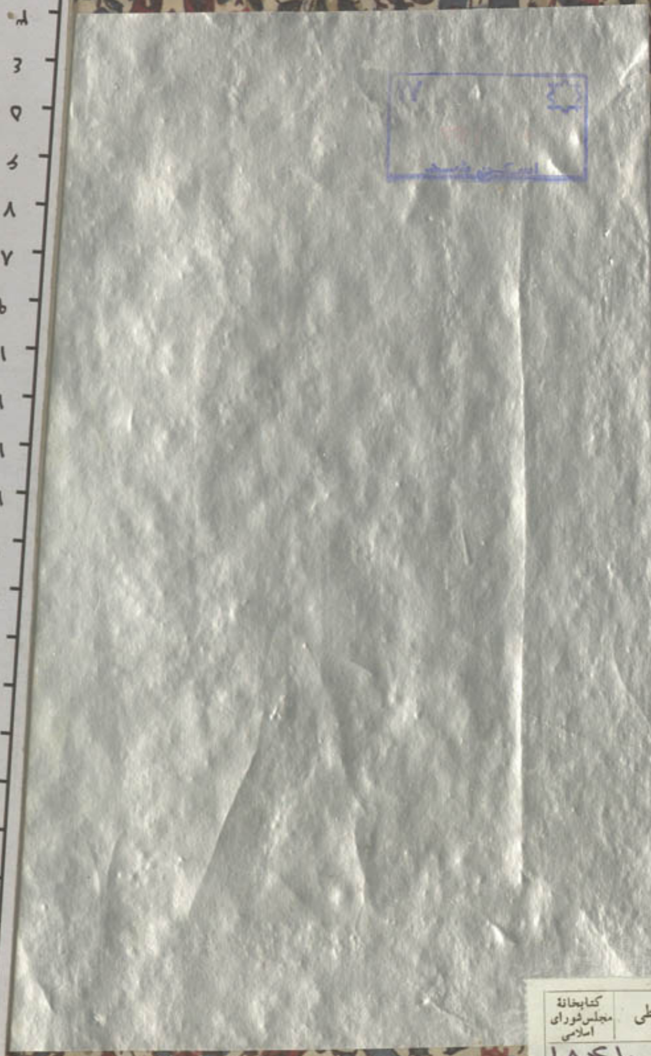
۸۶/۹/۲۰

صفحه ۴۶۵

کتاب در اخلاق از ابوحامد محمد غزالی

کتاب در حدود ۷۰۰ ق. تمام نسخه (از آغاز تا انجام) از نظر شیخ بهاء الدین عاملی ره گذشته و حواشی متعددی در هامش آن مرقوم داشته است. علامت بلاغ قرائت و علامت ملاحظه بیشمار تماماً به خط آن بزرگوار است



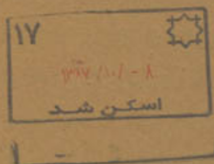


صفحه ۴۶۵

کتاب در اخلاق از ابوحامد محمد غزالی

کتاب در حدود ۷۰۰ ورق. تمام نسخه از آغاز تا انجام از نظر شیخ بهاءالدین عاملی ره گذشته و حواشی متعدد در هامش آن رقم دیده است. علامت بلوغ قرائت و مقابله تماما به خط آن بزرگوار است

۱۸۴۱۰
۲۰۹۵۷۵





این کتاب از غزالی است و جای که از عبارات و معانی او
مسلم شود از ترکیبات او [illegible] در اخلاق
و رساله مختصریست [illegible]
و فواید دارد [illegible] ۱۲۷۲
[illegible]

[illegible] الاعلا والانقطاع عن
الاشياع والاتباع وهكذا يجب ان يكون لانها طريق الجنة فيصير بصدد بقا
لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت
بالشهوات وقد قال صلى الله عليه وسلم الا وان الجنة حزن بربوة الا
وان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان
صعب وامر الدين متراجع والقوى والفراغ قليل والشغل كثير والعمر قصير
وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد
فلابد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر فقد فاز وسعد ابد الآبدين ومن فاته
ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب لذا والله
معضلا والخطر عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز
من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود و
يظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله تعالى لمعرفته ومحبته
وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله
جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اولئك الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا
هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فانعمنا النظر في كيفية قطعها وما يحتاج
اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها
بحسن توفيق الله في سلامة ولا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين

والعياذ بالله فصنفت في قطع هذه العقبات والطرق ولزومها كتبا كاحياء
علوم الدين وكتاب الاسرار والقربة الى الله تعالى وغير ذلك واحتوت على
دقائق من العلوم اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها او خاضوا فيما لم
يحسنوا فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا اساطير الاولين اما سمعت قول
زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم اجمعين اذ يقول

يا رب جوهر علم لو ابوح به ... لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون اقبح ما ياتونه حسنا
اني لاكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا ابو حسن ... الى الحسين ووصى قبله الحسنا

فاقتضى الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المماراة
فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع
ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني
على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في
اسرار معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله التوفيق
ان اول ما تنبه العبد للعبادة وتحرك لسلوك طريقها يكون بخطرة سماوية
من الله تعالى وتوفيق خاص الهي وهو المعني بقوله سبحانه افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه

فقال

فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك
من علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله واذا خطر بقلب العبد اول كل شيء اني اجد لي
منعما علي بضروب من النعم كالحيوة والقدرة والعقل والنطق وسائر
المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات
وان لهذه منعما يطالبني بشكره وخدمته فان غفلت ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني
باسه ونقمته وقد بعث الي رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة
عن مقدور البشر واخبرني ان لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا متكلما
امرا وناهيا وانه قادر على ان يعاقبني ان عصيته ويثيبني ان اطعته عالم باسراري
وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد وامرنا بالتزام قوانين الشرع فيقع
في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل في اول البديهة فيخاف على نفسه
عنده ويفزع فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع
عنه المعذرة ويبعثه الى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق
ويتطلع في طريق الخلاص وحصول الامان له مما وقع بقلبه او سمع فلم يجد فيه سبيلا
سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم اليقين
بامور الغيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في طريق
العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فاخذ في قطعها من غير

بعد تحصيل النظر في الدلائل ووفور التامل والتعلم والسؤال من علماء الآخرة
الذين هم ادلاء الطريق وسرج الامة وقادة الائمة والاستفادة منهم او استمدادا
الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله فحصل له العلم
اليقين بالغيب بان له الها واحدا لا شريك له سواه الذي خلقه وانعم عليه
بكل هذه النعم وانه كلفه شكره وامره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره
الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب تبعثه خ
الخالد ان عصاه وتولى عنه فبعد ذلك بعثته هذه المعرفة واليقين بالغيب
على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا المولى المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه
بعد ما جهله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه
فبعد حصول هذه المعرفة بالله سبحانه تعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا
وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث لياخذ في العبادة ويشتغل
بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب وهذا حال الاكثر من الناس
فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا
ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها واتطهر من اقذارها فاصلح
للخدمة وبساط القربة فتستقبله ههنا عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها
ليصل الى ما هو المقصود منها فاخذ في ذلك باقامة التوبة الصادقة وحقوقها
وشرايطها الى ان يقطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة

حتى

٦

حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوايق محدقة به كل
واحد منها يعوقه عما قصد من العبادة بضرب من التعويق فتامل
فاذا هي اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع
هذه العوايق وازاحتها والا فلا يتاتى له امر من العبادة فاستقبلته ههنا
عقبة العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد عن الدنيا والتفرد
عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والمضادة مع النفس واما النفس فاشدها
اذ النفس لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية
والآلة ولا مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال عليها
اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذن الى ان يلجمها
بلجام التقوى لتبقى له ولا تنقطع وتنقاد له ولا تطغى فيستعملها في المصالح
والمراشد ويمنعها عن المفاسد والمهالك فاخذ اذا في قطع هذه العقبة
ويستعين بالله جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة
فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده
عن التفرغ لذلك كما ينبغي فتامل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به
وتقول لا بد لي من رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق فمن اين
قوامي ورزقي والثاني الاخطار من شيء يخافه او يرجوه ويريده او يكرهه
ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها

وانه وبما يقع في فساد او مهلكة والثالث الشدايد والمصايب تنصب عليه
من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة
النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن تعتريه له
وكم من مصيبة يتلقاه الرابع انواع القضاء من الله سبحانه وتعالى بالحلو
والمر يرد عليه حالا فحالا والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فا
ستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربع فاحتاج الى قطعها باربعة
بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في مواضع الرزق والتفويض اليه في موضع
الخطر والصبر عند نزول الشدايد والرضا عند نزول القضاء فاخذ في
قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى وحسن تاييده فلما فرغ من قطعها
عاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث للخير
كما يحق وينبغي وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر
وفضول وبلية وجهالة فاحتاج معها ههنا الى سايق يسوقها الى الخير
والطاعة وينشطها فيه وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويقعدها
عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله تعالى وحسن ما وعد
من انواع الكرامة وذلك سايق يسوقها فيبعثها على الطاعة ويحركها
لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله عز وجل وصعوبة ما اوعد
من انواع العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها

ويهجرها

ويهجرها عن ذلك فهذه عقبة البواعث استقبلته ههنا فاحتاج الى قطعها بهذ ين
المذكورين فاخذ فيها بحسن توفيق الله فقطعها فلما فرغ منها رجع الى الاقبال
على العبادة فلم ير عايقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة فا
قامها وعانقها بتمام الشوق والرغبة فاداها فنظر فاذا انه ولهذه
العبادة التي يحتمل فيها كل آفة عظمتان وهما الريا والعجب تارة يرايي بطاعة
فيفسدها واخرى يستعظم ذلك ويكرم نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط
العبادة ويتلفها فاستقبلته ههنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها
بالاخلاص وذكر المنة ونحوها ليسلم له ما يعمل من خير واخذ في قطع العقبة
باذن الله عز وجل بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار وتاييده
فلما فرغ من هذه كلها حصلت العبادة له كما تحق وتنبغي وصلحت من كل آفة ولكنه
نظر في جود منة الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم عليه من امداد التوفيق
والعصمة وانواع التاييد والحراسة وخاف ان يكون منه اغفال الشكر
فيقع في الكفران فيحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدم الخا لصين
لله عز وجل ونزول عنه النعم الكريمة من ضروب الطاف الله تعالى وحسن
نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فاخذ فيها فقطعها بما
امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من هذه العقبة ونزل
فاذا هو بمقصوده وبغيته بين يديه فلم يبق الا قليلا حتى وقع في سهل الفضل

وصحرا الشوق وعرصة المحبة ثم وقع في رياض الرضوان وبساتين الانس الى بساط
الانبساط ومرتبة التقرب في مجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو
يتنعم في هذه الحالة ويتقلب في طيبها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا
وقلبه في العقبى ينتظر البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا
تحن الى الملكوت واستكمل الشوق الى الملأ الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين
يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض
غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدنيا الفانية
المفنية الى الحضرة الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة
الفقيرة نعيما وملكا كبيرا ويلقى هنالك من ربه الرحيم المفضل الكريم جل
ذكره من اللطف به والعطف والترحيب والتقريب والانعام والاكرام ما لا
يحيط به وصف الواصفين كل يوم هو في زيادة الى ابد الابدين فيالها من سعادة
عظيمة ويالها من دولة عالية وياله من عبد مسعود وامر مغبوط وشان
محمود نسال الله البر الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظيمة
وما ذلك على الله بعزيز وان لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا الامر الا وصف
او سماع او تمن بلا انتفاع وان لا يجعل ما تعلمناه من العلم علينا حجة يوم القيامة
وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام له كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين
واكرم الاكرمين هذا هو الترتيب الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم

ان

ان تدبر وفقك الله تعالى ان الحاصل من الجملة سبع عقبات الاولى عقبة العلم
والثانية عقبة التوبة والثالثة عقبة العوائق والرابعة عقبة العوارض
الخامسة عقبة البواعث والسادسة عقبة القوادح والسابعة عقبة الحمد والشكر
وبتمامها تم منهاج العابدين الى الجنة ونحن الان نتبع هذه العقبات لشرح موجز
في اللفظ يشتمل على النكت المقصودة من هذا الشان بشرح وجيز في باب مفرد ان شاء الله
تعالى والله ولي التوفيق والتسديد بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الاول في العقبة الاولى

في العقبة الاولى عقبة العلم

وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولا وفقك الله
بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل
ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين
بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما فيهما
من الخلق فتامل آيتين في كتاب الله عز وجل احديهما قوله تعالى الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله
قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد
والثانية قوله عز من قائل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه
الاية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما المقصود
من خلق الدارين فحق العبد ان لا يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما والنظر

فما اعظم امرين

الا فيهما فاعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه لغو ولا حاصل له فاذا علمت
ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وقال صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم
احب الى الله من عبادة ستة صيامها وقيامها وقال عليه السلام الا ادلكم على
اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان لا اشرف
جوهرا من العلم ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا
فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة المثمر اذ هي
الاصل لكن الانتفاع انما يحصل بثمرتها فاذا لا بد من العبادة ليسلم شرف العلم ولا بد
للعبد ان يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا
هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما
استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقدم لا محالة فانه الاصل والدليل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه ولما صار العلم
اصلا متبوعا لزمك تقديمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك
اولا يجب عليك ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات
ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا والعياذ بالله
مما خالف الحق فيكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر
العظيم في باب معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من كتب احياء علوم الدين ثم

يجب

يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك
وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك فكيف تقوم بطاعات لا تعرفها ما هي وكيف
هي وكيف يجب ان تفعل ام كيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاص لئلا توقع نفسك فيها
والعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة والصوم وغيرها يجب ان تعلمها باحكامها
وشرائطها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء سنين وانما هو مفسد عليك طهارتك
وصلواتك او يخرجهما عن كونهما على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما
يعترض لك مشكل ولا تجد من تساله عن ذلك وانت لا تعلمه ثم مراد هذا القائل
ايضا على العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض
والرضا والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سنذكره ان شاء الله تعالى
ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالتسخط والامل والرياء والكبر
لتجتنب ذلك فان هذه فرايض نص الله عز وجل على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه
العزيز وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين — بريث
واصبر وما صبرك الا بالله وقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا
ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم
والصلوة وتركت هذه الفرائض والامر بهما سواء من رب واحد في كتاب
واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا منها الفتوى من اصبح بعاجل حظه مشغوفا — بالكلية

حتى صير المنكر معروفا والمعروف منكرا ومن اهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه
نورا وحكمة وهدى واقبل على ما به يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف
ايها المسترشد ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشغل بصلوة
التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء وربما انت مصر على معصية من المعاصي التي
تستوجب بها النار وتترك مباحا من طعام وشراب او نوم تبتغي به قربة الى الله
عز وجل فتكون في لا شيء واشد من ذلك كله انك تكون في امر لا امل ولا امل معصية
محضة وتظنه نية حسنة لجهلك بالفرق بينهما او تقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون
في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل وتكون في رياء محض وتحسبه
حمدا لله تعالى او دعوة للناس الى الخير فتاخذ تتحمد على الله تعالى بالمعاصي بالطاعات
وتحتسب الثواب العظيم في موضع العقوبات فتكون في غرر عظيم وغفلة قبيحة
فهذه والله مصيبة قطيعة للعاملين من غير علم ثم مع ذلك ان الاعمال الظاهرة
علائق من المساعي الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص والريا والعجب وذكر
المنة وغيره فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة
وكيفية الاحتراز منها وحفظ العمل عنها فقل ما سلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته
طاعات الظاهر والباطن فلا يبقى في يده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران
المبين ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من صلوة على جهل
فان العابد بغير علم يفسد اكثر مما يصلح قال رسول الله في صفة العلم من كلامه

الاخلاص و

انه

انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقيا والمعنى لهذا والله اعلم ان احدى شقوته
ان لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب في العبادة على خبط عشوا فما يكون له من ذلك
الا العنا نعوذ بالله من علم وعمل لا ينفعان ولهذا عظمت عبادة العلما الزهاد
العاملين بالعلم رضي الله عنهم اجمعين خاصة من بين سائر الناس فان مدار امر العبادة
وملاكها العبودية والخدمة لله رب العالمين على العلم وهكذا يكون نظر اولي الابصار
واهل التوفيق والتاييد فاذا تبين لك هذه الجملة ان الطاعة احصل للعبد واسلم
له اقوم بالعلم فيلزم اذا تقديمه في شان العبادة واما الخصلة الثانية التي توجب
تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق
مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز
عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله تعالى فعليك
بالعلم ارشدك الله سالك طريق الاخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق بفضله ولطفه
تعالى قد ورد الخبر عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم انه قال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد
من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها فرض في الجملة ثلثة
علم التوحيد وعلم السر اعني ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة واما
حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف

به أصول الدين وهو أن لك إلها عالما مريدا قادرا حيا متكلما سميعا بصيرا واحدا
لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدث منفردا بالقدم
عن كل محدث وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به
عن الله سبحانه وفيما قد ذكر لنا به من أمور الآخرة ثم مسائل شرعها لك يجب
معرفتها وإياك أن تبتدع في دين الله عز وجل ما لم يأت به كتاب ولا أثر فتكون
مع الله تعالى في أعظم خطر وجميع أدلة التوحيد موجود أصلها في كتاب الله
وقد ذكر شيوخنا رحمهم الله في كتبهم التي صنفوها في أصول الديانات وعلى الجملة
كل ما لا تأمن الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لك تركه فيه هذه
وبالله عز وجل التوفيق وأما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجيده ومناهيه
حتى يحصل لك تعظيم الله والنية والإخلاص وسلامة العمل وعامة ذلك يأتي في أثناء
هذا الكتاب إن شاء الله عز وجل وأما من علم الشريعة وكل ما يتعين عليك فرض فعله
وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة والصلاة والصيام وأما الحج والزكاة
والجهاد إن تعين وجب عليك معرفته لتؤديها وإلا فهذا أحد ما يلزم العبد
تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث لا بد لك من ذلك فإن قلت هل
يفترض علي أن أتعلم من علم التوحيد ما أنقض به جميع ملل الكفر وألزمهم حجة الإسلام أهل خ
وأنقض به جميع البدع وألزمهم حجة الشريعة والسنة فاعلم أن هذا فرض على الكفاية
وإنما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك في أصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك

معرفة

معرفة علم التوحيد ودقائقه والإتيان على جميع مسائله نعم إن وردت عليك شبهة في أصول
الدين تخاف أن تقدح في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما أمكن من الكلام
المقنع وإياك والمماراة والمجادلة فإنه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك
فإن من ابتلي به لم يفلح إلا أن يتغمده الله برحمته ولطفه ثم اعلم أنه إذا كان في
قطر داع من دعاة أهل السنة يحل الشبهة ويرد على أهل البدع ويستقل بهذا
العلم ويصفي قلوب أهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك
لا يلزمك معرفة دقائق علم السر وجميع شرح عجائب القلب إلا ما يفسد عليك عبادتك
فيجب معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالإخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو ذلك
فيلزمك معرفته لتؤديه وأما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة سائر أبواب
الفقه من البيوع والإجارات والنكاح والطلاق والجنايات وإنما كل ذلك
فرض على الكفاية فإن قلت ـــــ هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل
بنظر الإنسان من غير معلم فاعلم أن الأستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه أسهل
وأروح والله تعالى بفضله يمن على من يشاء من عباده فيكون هو تعالى معلمهم ثم اعلم
أن هذه العقبة التي هي عقبة العلم عقبة كؤود ولكن بها تنال المقصود والمطلوب
ونفعها كبير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم من سلكها
فرزق وكم من تائه فيها متحير وكم من حسير منقطع وكم من سالك قطعها في مدة
يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة والأمر كله بيد الله إنما نفعه فعلى ما ذكرناه

المتقنع خ
كل
ارباده خ
متحير خ

من تلك الحاجة للعبد إليه وبناء أمر العباد كلها عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر
فلقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع
قال إلهي وما العلم النافع قال أن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي
على كل شيء فإن هذا الذي يقربك إلي وعن علي رضي الله عنه أنه قال ما يسرني أن لو
مت طفلا وأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربي فإن أعلم الناس بالله أشدهم خشية
شدتها له وأكثرهم عبادة وأحسنهم في الله نصيحة وأما بعد فابذل نفسك في الإخلاص في طلب
العلم ولكن الطلب طلب دراية لا طلب رواية واعلم أن الخطر عظيم فمن طلب العلم
لتصرف به وجوه الناس إليه ويجالس به الأمراء ويباهي به النظراء أو يتصيد به الحطام
فتجارته بائرة وصفقته خاسرة قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله عملت
في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد علي من العلم وخطره وإياك أن يزين لك
الشيطان فيقول إذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه أولى فلا تظنن
ذلك فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اطلعت ليلة المعراج على النار
فرأيت أكثر أهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم فمن لم يتعلم
العلم لم يتأت له أحكام العبادة والقيام بحقوقها ولو أن رجلا عبد الله عبادة
ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين
والتدريس واجتنب الكسل والملال وإلا فأنت في خطر الضلال والعياذ بالله
عز وجل ثم جملة الأمر أنك إذا نظرت في دلائل صنع الله عز وجل وأمعنت النظر

علمت

علمت أن لك إلها قادرا حيا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام
والإرادة والعلم متقدسا عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا تجوز
عليه ما يجوز على المحدودين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء ولا تتضمنه
الأماكن والجهات ولا محلة للحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول
صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته فعلمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينه
على وحيه وما كان السلف يعتقدونه من أن الله تعالى يرى في الآخرة وأنه موجود
وليس في جهة وهو غير محدود وأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ليس بحروف
مقطعة ولا أصوات مختلفة إذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وأنه
لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر إلا بقضاء الله عز وجل
وقدره وإرادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والإيمان
والكفر وأنه لا واجب على الله عز وجل لأحد من خلقه فمن أثابه فبفضله
ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم
من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط
والميزان فهذه أصول درج السلف رضي الله عنهم على اعتقادها والتمسك
بها ووقع عليها الإجماع قبل شيوع البدع وظهور الأهواء نعوذ بالله العظيم
من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في أعمال القلب
والمواجب الباطنة والمناهي التي تأتي في هذا الكتاب لتحصل لك علمه ثم تعرف

جملة ما يحتاج الى استعماله كالطهارة والصلوة والصوم ونحو فاذا فعلت ذلك
فقد اديت فرض الله عليك الذي تعبدك به في باب العلم ولقد صرت من علماء امة
محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم ان عملت بعلمك واقبلت على عمارة
معادك وكنت عبدا عالما عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل
ولك الشرف العظيم ويعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت
هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه
المسؤل ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الثاني في العقبة الثانية

وهي عقبة التوبة ثم عليك
يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق
الطاعة فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد
الذنوب يمنع المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان ثقل
الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط الى الطاعات وان الاصرار
على الذنوب يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة لا خلوص فيها
ولا صفا ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فستجر صاحبها الى الكفر والشقاوة
فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقسوة وكيف يدعى الى الخدمة
من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار

والنجاسات في الخبر عن الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه انه قال
اذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان
لذكر الله عز وجل فلا جرم لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا ولا خفة لكانه
لعبادة وان اتفق فكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل ذلك لشوم الذنوب وترك
التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم
بانك مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة
لتقبل منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي
وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل وكيف يقبل
منك تبرعك والدين عليك حال لم تقضه ام كيف تترك لاجله المباح والحلال
وانت مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه
وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين على المعصية
والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح وحدها وما
للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول اما التوبة فانها
شيء من مساعي القلب وهي عند التحصيل في قول العلماء تنزيه القلب عن الذنب
قال شيخنا في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق منه مثله عنه منزلة لا صورة
تعظيما لله تعالى وحذرا من سخطه فلها اذا اربع شرائط احدها ترك
اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب

الباب الثاني في العقبة الثانية وهي عقبة التوبة

فيتجرد

اذا كذب العبد تنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه

والتي بعد

البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك
بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تائب عنه والثاني
ان يتوب من ذنب قد سبق عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب
الا ترى انه يصح القول بان النبي صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح
انه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق منه كفر بحال وان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كان تائبا عن الكفر لما سبق عنه ذلك والثالثة ان الذي سبق يكون مثل
ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني
الذي سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة
لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو
لا يقدر الآن على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له
ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق
في المنزلة والدرجة كالكذب والقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك
معاص وان كان يتفاوت الاثم في حق الادمي في كل واحدة بقدرها لكن
جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة وهي دون منزلة البدعة
ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع
الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التي هو عاجز عن امثالها اليوم في
الصورة والرابعة ان يكون اختياره لذلك تعظيما لله وحذرا من سخطه

واليم

ولو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب

واليم عقابه مجردا لا لرغبة دنياوية او رهبة من الناس او طلب ثناء وصيت او ضعف
في النفس او فقر وغير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها فاذا حصلت واستكملت
فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات التوبة فثلث احدها ذكر غاية قبح الذنوب
والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى واليم سخطه وغضبه الذي لا طاقة لك به والثالثة
ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك وان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي وقرص نملة
كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب
كالبغال خلقت من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله عز وجل ثم نعوذ
بالله عز وجل من سخط الله وعذابه فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء
الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق
بفضله فان قيل اليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر شيئا
مما ذكرتم من شرائطها وشدائدها فقال له اعلم اولا ان الندم غير مقدور للعبد الا
ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة
للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم على الذنوب لما ذهب به جاهه بين الناس
او ماله للمعتقد فيهما فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان في الخبر معنى
لم يفهم من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة
النصوح فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا ذكر الاذكار الثلثة
التي هي من مقدمات التوبة فندم وحملته الندامة على ترك اختيار الذنب

وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل تحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك
من اسباب التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا
ان شاء الله فان قلت كيف يمكن للانسان ان يصير بحيث لا يقع
منه ذنب البتة من صغير او كبير كيف وانبياء الله عز وجل عليهم صلوات الله
الذين هم اشرف خلق الله عز وجل قد اختلف اهل العلم هل زلوا
ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل ثم هو هين والله يختص برحمته من يشاء
ثم من شرط التوبة ان لا تتعمد ذنبا فاما ان يقع فيه بسهو او خطاء فهو معفو
عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه الله تعالى فان قلت انما
يمنعني عن التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة
فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا
العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود
فعليك العزم والصدق في ذلك وعلى الله عز وجل الاتمام فان اتم فذاك المقصود
وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس
عليك الا هذا الحدث الذي احدثته الان وهذا هو الربح العظيم والفائدة
الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة ابدا فانك بين احدى الحسنيين فاندم وتب
والله ولي التوفيق والهداية فهذه هذه واما الخروج عن الذنوب والخلاص
منها فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله

سبحانه

سبحانه عليك من صلوة او صوم او كفارة او غيرها فتقضي ما امكنك منها والثاني
ذنوب بينك وبين الله سبحانه كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربوا ونحو ذلك
فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا والثالث ذنوب
بينك وبين العباد فهذا اشكل واصعب وهي اقسام قد تكون في المال او في النفس
او في العرض او في الحرمة او في الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه ان امكنك
وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق عنه فافعل فان لم يمكنك فعليك
بتكثير حسناتك والرجوع الى الله عز وجل بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك
يوم القيامة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او اوليائه حتى يقتص منك
او يجعلك في حل فان عجزت فالرجوع الى الله تعالى والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم
القيامة واما العرض بان اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك
بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا اذا لم تخش
زيادة غيظ وهيج فتنة في اظهار ذلك وتجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله
ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه
واما الحرمة بان خنته في اهله وولده او نحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار
لانه يولد فتنة عظيمة وغيظا بل تتضرع الى الله ليرضيه عنك ويجعل له
خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما
في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك

عليه من قبلك ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله
سبحانه وتعالى جدا والندم على ذلك ليرضيه عنك وحمله الامر فما امكنك
من ارضاء الخصوم عملته وما لم يمكنك راجعت الى الله تعالى بالتضرع والابتهال
والصدق ليرضيه عنك ويكون ذلك في مشيئة الله تعالى يوم القيمة والرجاء
منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي
خصماءه من خزانة فضله ولا حكم علينا على هذه حقيقتها انهما تهدهن فاذا انت
عملت ما وصفناه وبرات القلب عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت
من الذنوب كلها وان حصل منك تربة القلب ولم يحصل منك قضاء الفوائت
وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وسائر الذنوب مغفورة ولهذا الباب
شرح يطول فلا يحتمله هذا المختصر فانظر كتاب التوبة من كتاب احياء علوم
الدين او لا وكتاب القربة الى الله تعالى ما ثانيا وكتاب غاية القصوى
بالثا تجد فيها فوائد كثيرة وشرحا جما والذي ذكرناه ههنا هو الاصل الذي
لا بد منه وبالله التوفيق **فصل** ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة
عقبة صعبة امرها مهم وخطرها عظيم ولقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحاق الاسفرائني
رحمه الله وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت الله سبحانه
ثلاثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي فقلت سبحان الله حاجة
دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت الى الان فرأيت فيما يرى النائم كان

قابلا

ما بالا يقول لي اتتعجب من ذلك اتدري ماذا تسأل الله عز وجل انما تسأل الله
ان يحبك اما سمعت الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه
حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الائمة واهتمامهم ومواظبتهم على صلاح قلوبهم
والتزود لمعادهم واما الغر المغرور فان اول الذنب قسوة
وآخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك وان تنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا
كان مبدأ امرهما ذنبا واخره كفرا انهما كانا مع الهالكين ابد الابدين فعليك رحمك الله
بالتيقظ والجهد على ان تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص به رقبتك من هذه
الموزاد ولا تامن قساوة القلب وتامل حالك فلقد قال بعض الصالحين ان سواد
القلوب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد من الذنوب مفزعا ولا
للطاعة موقعا ولا للموعظة منتجعا ولا تستحقرن من الذنوب شيئا فتحسب
نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر فلقد بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت
ذنبا وانا ابكي عليه اربعين سنة قيل وما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي في الله
فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حائط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل بها
يده فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا
غرور وتضرع الى الله وابتهل واذكر حال ابينا آدم عليه السلام الذي خلقه
تعالى بيده وحمله الى جنته على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل
به ما نزل حتى روي ان الله تعالى قال له يا آدم اي جار كنت لك فقال نعم

والكرم

لله

الجان يا رب قال يا آدم اخرج من جواري وضع عن رأسك تاج كرامتي
فانه لا يجاورني من عصاني حتى انه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى
قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف
حال الغير في ذنوب لا تحصى وهذا معنا التضرع التائب فانما له فكيف بالمصر
المتعسف ولقد احسن من قال شعر : يخاف على نفسه من يتوب
فكيف ترى حال من لا يتوب : فان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب
ثانيا فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب
هذه المرة وكذلك ثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة
فاتخذ التوبة والعود اليه حرفة فلا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا ياس
ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دال له الخير لما تسمع قوله صلى الله
عليه خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع
الى الله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه وبالله التوفيق

فصل في جملة الامر انك اذا ابتدأت فبرأت فلك عن الذنوب
كلها بان توطنه على انه لا تعود الى الذنب ابدا البتة فليكن ما كان منك على وجه
علم الله تعالى صدق عزمك من قلب نقي نقي وترضي الخصم بما امكنك وتقضي
الفوائت بقدر ما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله سبحانه بالابتهال

والتضرع

والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات
كما يجب وتضع وجهك على الارض في مكان خال لا يراك الا الله سبحانه ثم تجعل التراب
على رأسك وتمرغ وجهك الذي هو اعز اعضائك في التراب بدمع جار وقلب
حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية
عليها وتوبخها وتقول اما تستحين يا نفس اما آن لك ان تتوبي الك طاقة بعذاب
الله حاجز من سخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب
الرحيم سبحانه وتقول يا الهي عبدك الآبق رجع الى بابك الهي عبدك العاصي رجع
الى الصلح الهي عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك
وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل
فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلي
عظايم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن
فيكون احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة
كنت ادخرك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من الدعاء والبكاء
والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه مسألة السائلين يا من لا تغلط
المسائل يا من لا يبرمه الحاح الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك انك
على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي عليه السلام وتستغفر لجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة

نفسي شاهد وقد خرجت من الذنب طاهراً كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه
وادخر لك من الاجر والثواب وانزل عليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به
وصف واصف وحصل لك الامن والخلاص والنجاة من عقبة المعاصي خلفها
وبليتها في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله عز وجل
والله تعالى ولي الهداية بمنه وفضله

الباب الثالث في العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق

ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله عز وجل بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك
وقد ذكرنا ان العوائق اربعة احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد
عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد والزهد لامرين احدهما لتستقيم لك
العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك بالطلب واما
باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنع عن العبادة فان النفس واحدة
والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان مثل الدنيا والآخرة كمثل
الضرتين ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر
ما تميل الى احديهما اعرضت عن الاخرى واما شغلها في الظاهر فقد روينا عن
ابي الدرداء انه قال زاولت بين العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاقبلت على العبادة
وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه انه قال لو كانتا مجتمعتين لاحد غيري
لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من القوة واللين فاذا كان الحديث كذلك

فاض

فاض بالفانية والسلم واما شغلها للقلب وهو الباطن لمكان الارادة فما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته
اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا او باطنك
بالارادة فلا يتيسر لك العبادة بحقها واما اذا زهدت فيها فتفرغت بظاهرك وباطنك
تيسر لك العبادة بل تعاونك اعضاؤك عليها ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي
الله عنه انه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه
على العبادة فهذه هذه والثاني من الامرين ان يكثر قيمة عملك ويعظم قدره
وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل عالم زاهد قلبه خير واحب
الى الله سبحانه وتعالى من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابداً سرمداً فاذا كانت
العبادة تشرف وتكثر بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا ويتجرد
عنها فان قلت فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان
الزهد عند علمائنا رحمهم الله زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالزهد
الذي هو مقدور ثلثة اشيا ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك
اختيارها وارادتها واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد فهو برودة الدنيا
على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور للعبد مقدمات الزهد الذي هو غير مقدور
فاذا اتى العبد بهذه بان لا يطلب ما ليس عنده من الدنيا وان يفرق ما عنده منها
ويترك بالقلب ارادتها واختيارها لله تعالى فانما اورثته هذه برودة الدنيا على قلبه

لاجل الله عز وجل وعظيم ثوابه وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان اصعب
الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك لها بظاهره محب مريد لها
بباطنه فهو في مكابدة ومقاساة من نفسه شديدة والشان كله في هذه الم تسمع
قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
فحكم فيه بنفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله عز وجل من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب وقوله تعالى ومن اراد الاخرة وقوله تعالى من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اما ترى الاشارة كلها الى الارادة فامرها هو المهم اذن
لكن العبد اذا واظب واستقام على الاولين اعني الترك والتفريق فالمامول من فضل
الله ان يوفقه لرفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه هو المفضل الكريم عز
وجل ثم الذي يبعث على الترك والتفريق يهون عليك ذلك ذكر افات الدنيا وعيوبها
وقد اكثر الناس القول في ذلك فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وسرعة
فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها قال شيخي الامام كان من هذا رائحة
الرغبة فانه لان من شكا فراق احد احب وصاله ومن ترك شيئا لمكان الشركاء فيه
اخذه لو انفرد به فالقول البالغ فيها ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة الله سبحانه وتعالى
وانت محبه ومن احب احدا ابغض عدوه قال ولانها في اصلها قبيحة جيفة الا
ترى ان اخرها الى القذر والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب

وحليت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون فان قيل
ما حكم الزهد في الدنيا أهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد عندنا يقع في الحلال والحرام
وهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام لمستقصي الطاعة كمنزلة
الميتة المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة واما
الزهد في الحلال فبمنزلة الميتة لا يتناولون منها الا قدرا لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة
النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان ينقطع همته
عنها ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار ولا ارادة فان قلت
كيف يمكن ان تصير الدنيا في شهواتها ولذاتها العجيبة المطلوبة عند الانسان بمنزلة
النار او بمنزلة الجيفة المستقذرة المستحيلة والبنية بنيتنا والطبع طبعنا
فاعلم ان من وفق للتوفيق الخاص وعلم افاتها وقذرها في اصلها يصير عنده
كذلك وانما يتعجب من هذه الراغبون العميان عن عيوب الدنيا وافاتها المغترون
بظاهرها وزينتها وسأضرب لك مثلا لذلك فاعلم ان هذا مثل بانسان صنع خبيصا
بشوا بطيب من السكر او غيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره اخر
ووضع الخبيص بين ايديهما مزينا مزخرفا فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون
زاهدا في ذلك الخبيص لا يخطر بباله ان يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة
النار بل اصعب لمكان ما يعلم من افته ولا يغتر بظاهره وزينته واما الرجل الاخر الذي
لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهر الزخرف وحرص عليه ولم يصبر عنه واخذ يتعجب منه

ومن صاحبه الزاهد فيه وربما يسفهه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا مع البصراء
المستقيمين والجهال الراغبين واما حلال الدنيا وان لم يطرح فيه
السم لكن يزق فيه او امتخط فيهم زتنه وصححه فالوجل الذي شاهد منه ذلك
الفعل يكون مستعدا لذلك الخبيص نافرا عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة
وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بافته مغتر بظاهره حريص
عليه منكب معجب محب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة
والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في
الطبع والبنية لموضع النظر ببصارة وعلم كان لاحدهما والجهل وغفلة وخفاء كان
للاخر فلو علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد
وعمي عن الذي عمي عنه الراغب لكان راغبا مثله فعلمت بهذا ان هذا التمييز لمكان
البصاير دون الطبايع فهذا اصل مفيد وكلام بين سديد اعترف به من عقل
وانصف والله سبحانه ولي التوفيق والهداية بفضله فان قيل فلا بد لنا من قدر
من الدنيا ليكون قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج
اليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتى نعبد الله سبحانه وتعالى لا الاكل والشرب
والتلذذ والله تعالى ان شا اقامها بشي وسبب وان شا اقامها بغير سبب كالملائكة
ثم ان كان بشي فان شا بشي حاصل عندك او بطلبك وكسبك وان شا فبشي غيره
يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى

ومن

قيل ان جميع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صار الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل
وعن ذي النون المصري انه قال وجدت على صخرة في بيت المقدس مكتوبا كل خايف هارب وكل راج طالب
وكل عاص مستوحش وكل طايع مستانس وكل قانع عزيز وكل طامع ذليل فنظرت فاذا هذا الكلام اصل لكل شي

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذن لا يحتاج بحال
الى طلب وارادة فان لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك العون على
عبادة الله دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك
خيرا وطلبا للاخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك فاعلم هذه الجملة
راشدا وبالله التوفيق

العايق الثاني الخلق

ثم عليك وفقك الله
وايانا الطاعة بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك عن
عبادة الله تعالى على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس
بعيد منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك فقال
معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هولاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق
فاشار بيده الى السماء وقام وتركني فالخلق اذن يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها
بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق
خمسة اشيا فلم اجد طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليهما
ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنهما
اذن فمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم
ففعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي ثم اعلم ايها الاخ في الدين ان النبي صلى الله
عليه وسلم وصف زمان العزلة وبين نعته ونعت اهله وامر فيه بالتفرد وكان عليه السلام
لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبين

فاسئل امره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك فانه صلى الله عليه وسلم
كان اعرف بما يصلح لك في زمانك فلا تعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت
هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكرناه منها هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا اي اضطربت
هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما اصنع عند ذلك جعلني الله فداك فقال الزم
بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع
عنك امر العامة وذكر في خبر اخر صلى الله عليه وسلم قال ذاك ايام الهرج وقيل وما الهرج
قال حين لا يامن الرجل جليسه وذكر ابن مسعود رضي الله عنه في خبر اخر
للحارث بن عمرو انه قال ان تدفع عن عمرك ~~عبارة عن طول العمر~~ فسياتي عليك
زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه قايد العلم قال
ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقبلت الرشي وبيع الدين بعرض يسير من الدنيا
فالنجاء ويحك ثم النجاء قلت وجميع ما ذكر في هذه الاخبار تراه بعينك في
زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح رحمهم الله اجمعوا على التحذير
من زمانهم واهله واثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا شك انهم كانوا
ابصر وافصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر منه وامر وهو ما ذكر
عن يوسف بن اسباط رحمه الله انه قال سمعت الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو

لقد

لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا لئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت
وافترضت وعن سفيان الثوري ايضا رضي الله عنه انه كتب الى عباد الخواص اما بعد
فانك في زمان كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتعوذون بالله من ان يدركوه فيما
بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه على قلة العلم وقلة الصبر و
قلة الاعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس وان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قال في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي مثل هذا قيل شعر

هذا الزمان الذي كنا نحاذره … في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير … لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
دهر به الحق مردود باجمعه … والعلم والبغي فيه غير مردود

ولقد وجدت سفين بن عيينة انه قال للثوري رحمهما الله اوصني قال اقلل من عظني
معرفة الناس قلت يرحمك الله اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة المومنين
فان لكل مومن شفاعة قال لا احسبك رايت قط ما تكره الا ممن تعرف
اي سفين قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني فقال
اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولقد قيل في معنى هذا الخبر المروي

وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي … افتش عن هذا الورى واكشف
فما ان عرفت الناس الا ذممتهم … جزا الله خيرا كل من لست اعرف

وقال الفضيل هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر وعن داود الطائي رحمه الله صم عن الدنيا واجعل فطرك

وقال الثوري [illegible]

مدحوه الجنة وفر الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيد ما رايت حكيما قط الا قال
في عقب كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال ونعم وتعظيم والاخبار من هذا
الباب اكثر من ان يحتمله هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا وسميناه كتاب
اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب والعاقل يكفيه اشاره
والله ولي التوفيق والهداية بفضله واما الخصلة الثانية التي
تقتضي التفرد عن الناس في هذا الزمان ان الناس يفسدون عليك ما يحصل لك من
العبادة ان لم يعصم الله تعالى بسبب ما يعرض من فعلهم من دواعي الريا والتزين
ولقد صدق يحيى بن معاذ رضي الله عنه حيث قال رؤية الناس بساط الريا وهو لا
الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر
ان هرم بن حيان قال لاويس القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقا فقال اويس
قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعا على ظهر الغيب لان الزيارة واللقا
يعرض منها التزين والريا وقيل لسليمن الخواص قدم ابرهيم بن ادهم افلا
تاتيه فقال لان القى شيطانا ماردا احب الي من لقايه فاستنكروا ذلك من
قوله فقال اني اذا لقيته اخاف ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد لقي
شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم دعوا في اخر حديثهما فقال للعارف
ما اظنني جلست مجلسا انا ارجى من مجلسي هذا فقال له العارف لكنني ما جلست
مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا اما انت تعمدت الى احسن حديثك وعلومك تحدثني

مخلطة الذي هو اخوف من الحاكم

بها

بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فوقع الريا فبكى شيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل

يا ويلنا من موقف ما به اخوف من ان يعدل الحاكم

يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم

فهذه حال اهل الزهد والرياضة في مقالاتهم فكيف حال اهل الرعية والبطالة بل
حال اهل الشر والجهالة فاعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس
في ضر كبير فانهم يشغلونك عن عبادة حتى لا يكاد يحصل لك منها شي ثم يفسدون عليك
ما حصل حتى لا يكاد يحصل لك منها يسلم لك شي فلزمتك العزلة والتفرد عن الناس
والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته
فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فتبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي
يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة بالخلق
اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة
او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة لا بد له من ذلك والا فيواري شخصه
ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فاما ان احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في
امر من الامور من دين ودنيا وجماعة وجمعة او غيرها لما يرى له في ذلك من مصلحة
وفراغة فانه لا يسعه الا باحد امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هناك هذه الفروض
كرؤوس الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى
تلك المواضع البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة

الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رايت
انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام
في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله فجاورته في ذلك يوما في حال يتردد اليه
فذكر من عذره ما اشرنا وهو ان ما يجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام والتبعات
في الخروج الى المسجد الحرام ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا اعتب على المعذور
والله اعلم بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الاول
بان يشارك الناس في الجماعة والجمعة وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك
فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس مرة فسبيله الخروج الى مواضع لا يجب
عليه هذه الفروض فيها ثم ان الطريق الثالث وهو ان يكون مع الناس في مصر واحد
لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه في ذلك من وزر وتبعة عليه فانه يحتاج الى نظر
رفيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط فالاولان اسلم
واحفظ له والله ولي الهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يكون قدوة في
العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم لسان حق او رد على مبتدع او دعوة الى خير
بفعل او قول او نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه
بينهم ناصحا لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لاحكام الله فلقد روينا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فقد لعنه الله هذا اذا
كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا ذلك ولقد حكي الكوت الاستاذ ابي بكر بن فورك

رحمه الله

رحمه الله انه قصد ان ينفرد لعبادة الله تعالى عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال اذ
سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله على خلقه تركت عباد الله فرجع وكان
هذا سبب صحبة الخلق وذكر لي مامون بن احمد ان الاستاذ ابا بكر قال لعباد جبل لبنان اسحق بن
يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا باكل
الحشيش قالوا لانا لا نقوى على صحبة الناس وانما اعطاك الله قوة فلزمك ذلك
فصنف بعد ذلك كتابه الجامع الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة علمهم
الهم الجم والنظر الدقيق في سلوك طريق الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه
الناس في باب الدين يحتاج في صحبة الناس الى امرين شديدين احدهما صبر طويل
وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله دايمة والثاني ان يكون في هذا المعنى
منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم على
قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا استغنم ذلك منهم وان كانوا في حق و
خير ساعدهم وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وهجرهم بل رد عليهم وزجرهم
ان رجا قبولهم ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعبادات وقضاء الحاجات
التي ترفع اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافاة ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من
نفسه استيحاشا لذلك ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاحوال
اعلى ويحتمل منهم الاذى ويظهر لهم البشر ويجمل بظاهره لهم ويكتم حاجاته
عنهم فيقاسيها بنفسه ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك ان ينظر لنفسه

خاصة فيجعل حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان
نمت الليل لاضيعن نفسي وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين
وفي هذا المعنى عرض لي ابيات من الشعر وهي — وفي هامش

فان كنت في هذي الايام راغبا فوطن على ان تستكمل الوقايع
بنفس وقور عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر مايع
لسانك مخزون وراسك مطرق وسرك مكتوم لدى الرب ذايع
ودارك معمور وبابك مغلق وثغرك بسام وبطنك جايع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون وطعنك شايع
وفي كل يوم انت جارع غصة من الدهر والحدثان والعلق طايع
نهارك شغل الناس من غير منة وليلك سوف غاب عنه الطلايع
ودونك هذا الليل خذه ذريعة ليوم عبوس عز فيه الذرايع

نعم يكون بالنفس معهم وبالقلب ما ابعده عنهم وذاك لعمري امر شديد وعيش نكد
وفيه يقول شيخنا في وصيته يا بني عش مع اهل زمانك ولا تقتدي بهم ثم قال ما اشد
هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وعن ابن عباس خالط الناس وزايلهم
ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة معه ثم اقول اذا ماج الفتن بعضها ببعض وتراجع
الامر وولي الناس عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة ولا
يطلبون عالما ولا يرمقون مفيدا ولا تعنيهم امور دينهم البتة وترى الفتنة تعم

العامة

العامة وبدت بين الخاصة فللعالم عذر في العزلة والتفرد ودفن العلم والخاف
ان ما ذكرناه هو هذا الزمان التلف الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا
حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهم فان الغلط فيه عظيم وضرره كثير وبالله التوفيق
فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان
يد الله عز وجل على الجماعة وان الشيطان ذيب الانسان يأخذ الشاذة والناحية
والقاصية وقال عليه السلام ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم — المنقطع م
ان هذه وردت وورد ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد
في زمان السوء ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين
بحول الله وقوته وتوفيقه فاقول قوله عليه السلام عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة
اوجه احدها انه يعني به في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة
فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه الجمهور من الامة والشذوذ عنهم باطل
وضلال فاما ان يعتزل عنهم في دينه فليس هذا من ذاك في شيء والثاني عليكم
بالجماعة بان لا ينقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين
وكمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات
من الله ونظر منه بالرحمة ولذلك يقولوا ان حق المنفرد ان يشارك الناس
في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في ساير الامور — والجماعات م
لما فيها من ضروب الافة والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف
الافات م

فى امر الدين واما الرجل البصير القوى فى امر الله تعالى اذا راى زمان الفتنة
الذى حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة
فيه والعزلة اولى لما فى المخالطة من الفساد والآفة وان لا ينقطع من جموع الا سلا
والخيرات العامة فان اراد ان ينفرد عن الناس بمرة فيسكن شاهق الجبل
او بطن فلاة لصلاح يراه فى دينه ثم قلت ولا ارى مثل هذا الرجل
اسما كان الحر ومكنه الله من حضور الجماعات والجمعات وساير جموع الاسلام
فحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله سبحانه بمكان
وان يعبر الناس وفيدوا كذى معنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع
الاسلام اينما كانت ويسيرون من الارض حيث شاؤا فان الارض لهم قدم وا حل
وفى الاخبار ان الارض تطوى لهم ويبادرون بالتحيات ويتحفون بانواع البر
والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر ويتحفون الر
فى خلاص نفسه واعان الطالب الذى لم يصل الى المقصود كامثالنا ولقد
عرض لى فى حقيقة حالى ابيات من الشعر وهى

ظفر الطالبون واتصل الوصل وفاز الاحباب بالاحباب
وبقينا مذبذبين حيارى بين حد الوصال والاجتناب
نرتجى القرب بالبعاد وهذا حال نفس المحال للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم وتهدى الى طريق الصواب

ياطبيب

باطبيب السقام يامرهم الجرح ويامنقذى من الاوصاب

فلنقبض الان عنان الجنان ونرجع الى المقصود من شان العزلة فقد خرجنا من
شرط الباب فان قيل اليس قال النبى صلى الله عليه وسلم رهبانية امتى الجلوس البيان الر
فى المساجد وفيه نحو من التفرد فاعلم ان ذلك فى غير زمن الفتنة كما ذكرناه
وايضا فانه يجلس فى المسجد ولا يخالط الناس فلا يداخلهم فيكون بالشخص معهم
وفى المعنى منفردا عنهم وهذا هو المعنى فى العزلة والتفرد الذى نحن فى ذكره
لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك يرحمك الله وفيه يقول ابرهيم بن ادهم
رحمه الله كن واحدا جامعا ومن ربك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول
فى مدارس علماء الاخرة ورباطات الصوفية سالكى طريق الاخرة والكون فيها
فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى فى هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك
انها جمعت المعنيين والفايدتين اللتين احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة
والمخالطة والمزاحمة فى امورهم والثانية المشاركة معهم فى جمعهم وجماعاتهم و
تكثير شعاير الاسلام فيحصل السلامة التى هى للمنفردين والخير الكثير الذى هو
لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من القدوة والبركة والنصيحة فصار الكون
فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان اقام اكثر العارفين
بين الناس لنفعهم للناس ولعباد الله تعالى فى باب الدين وقلة اذاهم ومشاهدة
الخلق لادابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فان لسان الحال افصح من لسان المقال

فصار ذلك لحينئذ تدبيرنا في امر الدين في العلم والعبادة والحكم رأيي فان قيل فما حال
المريد مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام يعتزلهم فاعلم انهم اذا كانوا ثابتين
على رسومهم الاولى وسيرتهم الموروثة عن سلفهم فهم اجل الاخوان في الله عز وجل
واصحاب واعوان على عبادة الله سبحانه فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم
مثل ما يسمع من زهاد الشأن وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون بالبر والتقوى
ويتواصون بالحق والصبر واما اذا تغيروا وتركوا رسومهم ولخلوا بطرايقهم المورو ثة
عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع ساير الناس يلزم زا ويته
ويكف لسانه ويتاركهم في خيراتهم ويجانبهم في ساير احوالهم واوقاتهم فيكون
هو في عزلة من اهل العزلة منفردا من المنفردين فان قلت فان اختار هذا
المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في نفسه وتجنب آفة
يدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة حصن حصين
يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق وان الخارج بمنزلة الصحراء يرود
فيها فرسان الشياطين عسكرا عسكرا فتسبيه او تستأسره فكيف حاله اذا خرج
الى الصحراء ويمكن منه العدو من كل جانب بعده ما بينا فاذن ليس لهذا الضعيف
الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء واستوى عنده
الحصن والصحراء فلا عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن احوط على كل حال
اذ لا يؤمن العلبات والاتفاقات السوء واذا كان الامر بهذه الجملة فالكون في رجال الله
والصبر

والصبر على مشقة الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال ولا مانع القوي
البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتاملها تغنم وتسلم
ان شاء الله سبحانه فان قيل فما تقول في زيارة الاخوان في الله تعالى وفي موا صلة
الاصحاب بالتلاقي والتذكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جواهر
عبادة الله تعالى وفيها الزلفة الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من ضروب
الفوايد وصلاح القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار
والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة رضي الله عنه
زر غبا تزدد حبا والثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول
اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل
وسفيان تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا
من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال
الست تعمد الى احسن حديثك فتحدثني به وانا اعمد الى احسن ما عندي فاحدثك به
فتزينت لي وتزينت لك فبكى سفيان رضي الله عنه فيجب ان يكون مجالسة الاخوان
وملاقاتهم على مقدار قصد واحتياط ونظر لطيف فلا تفسد ذلك حينئذ في عزلتك
وتفردك عن الناس ولا يعود عليك وعلى اخيك ضرر وآفة بل خير كثير ونفع عظيم
والله الموفق فان قلت فما يبعثني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي
ذلك فاعلم ان الذي يهون عليك ذلك ثلثة امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة

شغلا وان الاستيناس بالناس من علامة الافلاس فاذا رايت نفسك تتطلع الى
ملاقات الناس وكلامهم من غير حاجة ضرورة فاعلم ان ذلك فضول ساقه
الفراغ والبطر ولقد احسن من قال انس الفراغ الى سلامك قاد في ولربما عمل
الفضول الفارغ فاذن متى عانقت العبادة بحقها وجدت حلاوة المناجاة
واستانست بكتاب الله واشتغلت عن الخلق واستوحشت عن صحبتهم ومن كلامهم
وفي الخبر ان موسى عليه كان اذا رجع من المناجاة استوحش من الناس وكان يجعل
اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك
الوقت كاصوات الحمير فعليك بما قاله شيخنا رحمه الله اتخذ الله صاحبا وذر الناس
جانبا . والثاني قطع الطمع عنهم مرة فيهون عليك امرهم لان من لا ترجو نفعه
ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه عليك سواء . والثالث تبصر افاتهم وتتذكر ذلك
وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار اذا الزمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب
الله عز وجل والتفرد لعبادته وحببته اليك والزمتك بابه وبالله التوفيق
والعصمة **العائق الثالث الشيطان** ثم عليك يا اخي بمحاربة
الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احديهما لانه عدو لا مطمع فيه بمصالحة وابقاء
عليه بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذن للامن من مثل هذا العدو والغفلة
عنه وتامل آيتين من كتاب الله سبحانه وتعالى احديهما قوله تعالى الم اعهد اليكم
يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان

لكم

لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول
على عداوتك ومنتصب ابدا لمحاربتك في اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه
وانت غافل عنه فكيف يكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله
تعالى ودعوة الخلق الى باب الله تعالى بفعالك وقولك وهذا ضد صنيع الشيطان
وهمته ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك لتغايظ الشيطان
وتقابله وتناقضه فهو ايضا يشد وسطه لمعاداتك وبقاتلك ويحمل كل حيلة يفسد
عليك شانك بل حتى يهلكك الا ترى الا يامن جانبك بعد فان الذي يبني ويقصد با
لهلاك الى من لم ينا قصده ولا يغايظه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل الضلالة
واهل البدع في بعض الاحوال فكيف تظن قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته
فله اذن مع الناس عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة
وان امرك له مهم وان معه عليك اعوان اشدها عندك نفسك وهواك وله اسباب
وحبال وابواب انت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ رضي الله عنه حيث قال
الشيطان فارغ وانت مشغول وهو يراك وانت لا تراه وانت تنسى الشيطان وهو
لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك عون فاذن لا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن
الفساد والهلاك فان قلت فباي حيلة وشيء احارب الشيطان وباي شيء اقهره
وادفعه فاعلم ان لاهل الصناعة في حل المسالة طريقين لمحاربته فقال بعضهم
ان التدبير في دفع الشيطان كلب سلطه الله عليك وان اشتغلت بمحاربته و

ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك ويعقرك ويجرحك
فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى الثاني ما قال الاخرون
ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة قلت والذي عندي
ان الطريق العدل الجامع في امره ان نجمع بين الطريقين فنستعين بالله اولا
من شره كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله
تعالى ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا في امره سبحانه ويرى صبرنا كما سلط
الكفار علينا مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر
والتمحيص والشهادة كما قال تعالى وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء وقال تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فلذلك
هذا ثم اعلم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رحمهم الله تعالى في ثلثة اشياء
احدها ان تتعرف وتتعلم مكايده وحيله فلا يتجسس حينئذ عليك كاللص
اذا علم ان صاحب الدار قد احس به فر الثاني ان تستخف بدعوته فلا تعلق يتجاسر
قلبك بذلك ولا تتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولع بك ولج وان
اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله بلسانك وقلبك فلقد قال عليه الصلوة والسلام
ان ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم فان قلت كيف نعلم
مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام
التي يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له حبائل بمنزلة

الشبكات

الشبكات التي نصبها وذلك يتبين بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها وقد ذكر
علماؤنا ابوابا في الخواطر وقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا
لا يحتمل الاكثار ولكنا نذكر ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا
اذا اعتصمت به فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى وكل بقلب ابن ادم ملكا
يدعوا الى الخير يقال له الملهم ودعوته الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعو
العبد الى الشر يقال له الوسواس ودعوته وسوسة والملهم لا يدعو الا الى الخير
والوسواس لا يدعو الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا ان
الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك ان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل
ويدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهذان
داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو المدعو يسمع قلبه بحسن ذلك على ما روي
في الاخبار انه اذا ولد لبني ادم مولود قرن الله تعالى به ملكا وقرن الشيطان به
شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلبه اليسرى والملك جاثم على اذن قلبه
اليمنى فهما يدعوانه وقال النبي عليه الصلوة والسلام للشيطان لمة بابن ادم وللملك
لمة يعني ثم ولد بالدعوة من قولهم لم بالمكان والم به اذا نزل به ثم ان ركب الله
في بنية الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حسن
وقبيح فذلك هو النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلث دعوات ثم اعلم
بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي اثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال

والترك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها من خطر ان ترجح او نحوه
وجدتها جميعا في قلب العبد الحقيقة من الله تعالى لكنها اربعة اقسام منها
ما يجده الله سبحانه في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط وقسم تجدته موافقا
لطبع الانسان يقال له هوى النفس وتنسب اليها وقسم تجدته عقيب دعوة الملهم
فينسب اليه يقال له الالهام وقسم تجدته عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه
ويقال له الوسوسة وينسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانها في الحقيقة
حادثة عند دعوته فهي كالمسبب في ذلك ولكنها تنسب الى الله فهذه اربعة اقسام
من الخواطر ثم اعلم ان هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله ابتداء قد يكون
خيرا اكراما والزاما للحجة وقد يكون شرا امتحانا وتغليظا للحجة والخاطر
الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا خيرا لانه ناصح مرشد لم يوكل الا لذلك والخاطر
من قبل الشيطان لا يكون الا شرا اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا
واستدراجا والذي يكون من قبل هوى النفس يكون بالشر وبالخير فيه تمتعا
وتعشقا ولقد وجدت عن بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعو الى خير
والمقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها ثم بعد هذه انك محتاج الى
معرفة ثلاثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها المقصود احدها الفرق
بين الخاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين خاطر شر ابتدائي
او هوائي او شيطاني وبهذا انفرق بينهما فان لكل واحد منهما دفعا

اي فصل من الفصول الثلاثة

من نوع اخر

من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني ليتبع
ما يكون من الله تعالى او من الملهم ويجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي
على قول من يقول به فاما

الفصل الاول

قال علماؤنا رحمهم الله
اذا اردت ان تفرق خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد
الموازين الاربعة فيتبين لك الحال اولا اعرض الامر الذي خطر ببالك على
الشرع فان وافق بجنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر
فان لم يستبين لك بهذا الميزان فاعرضه عن الاقتداء فان كان في فعله اقتداء
بالصالحين فهو خير وان كان بضد اتباع الصالحين فهو شر فان لم يتبين لك
بهذا الميزان فاعرضه على النفس والهوى فانظر فان كان مما ينفر عنه النفس
نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس
ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله وترغيب فهو شر اذ النفس امارة بالسوء
لا تعدل باصلها الى الخير فبالجملة هذه الموازين اذا نظرت وامعنت النظر تبين
لك خاطر الخير من خاطر الشر والله تعالى ولي الهداية بفضله انه جواد كريم واما

الفصل الثاني

اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون
من قبل الشيطان وبين خاطر شر يكون من هوى النفس او من الله تعالى ابتداء فانظر
فيه من ثلثة اوجه احدها ان وجدته مصمما ثابتا على حالة واحدة فهو من الله
او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان

يقول

بعض العارفين مثل هوى النفس مثل النمر اذا جاع لم ينصرف الا بقمع بالحجر وقهر ظاهر او مثل الخارجي الذي لا ينقاد الا بترغيبه لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذباب اذا اطردته من جانب دخل من جانب اخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله اهانة وعقوبة لشوم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخي الامام هذه تؤدي الذنوب الى قسوة القلب او لها خاطر ثم تؤدي الى الفسوق والرين وان كان هذا الخاطر مبتدأ لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان هذا في الاكثر لانه لا يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال اكثر مما يبتدئ بالخير اشد داعيا الى الشر وثالثها ان وجدته لا تضعف ولا تعلل بذكر الله ولا يزول فهو من الهوى وان وجدته تضعف وتقل بذكر الله فهو من الشيطان عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله من شر الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس

الفصل الثالث

اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى وما يكون من الملك فانظر في ذلك من ثلثة اوجه فان كان قويا صميما فهو من الله وان كان مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه ويعرض عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك في الخير الثاني منها ان كان عقيب اجتهاد منك وطاعة فهو من الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم

لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدأ فهو من الملك في الاغلب والثالث منها ان كان في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه ولكن في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول الاكثر هم واما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر بعده بزين وود

عليه ملعون قال شيخنا انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر ببالك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى للعاقبة لا مع البصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصارة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك قلت انما كان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشط في ذلك واما التأني فمحمود الا في مواضع معدودة وذكرت في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان الا في خمسة تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب واما الخوف فيحتمل ان يكون في اتمامه واداءه على وجهه وحقه او قبول الله تعالى اياه واما البصارة للعاقبة بان ينظر ويتحقق ويتيقن لنفسه خير وليس شر ويحتمل ان يكون لله تعالى فيه في العقبى ورجائه فاعلم ذلك موفقا فهذه جملة الفصول الثلثة التي لا بد لك من معرفتها في فصل الخواطر فاعرفها واعمل

الذكر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في الباب والله بمنه
الموفق بفضله **فصل** الحيل والمخادعات من الشيطان فنجرى
ذكر مثاله ان مكايد الشيطان مع ابن آدم في الطاعة من سبعة اوجه احدها
ان ينهاه عنها فان عصمه الله تعالى رده بان قال اني لمحتاج الى ذلك
جدا اذ لا بد لي من التزود من هذه الدنيا والآخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره الثانية
بالتسويف فان عصمه الله تعالى رده بان قال ليس اجلي بيدي على اني ان سوفت
عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول له
عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله عز وجل رده بان قال قليل العمل مع التمام
خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مراياة للناس فان عصمه الله رده
بان قال ما الذي ينفعني مراياة الناس فلا يكفيني رؤية الله تعالى ثم يريد ان يوقعه
في العجب فيقول ما اعظمك وما ايقظك فان عصمه الله رده بان قال المنة لله تعالى
في ذلك دوني وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله ولولا فضله فما قيمة
هذا العمل في جنب نعمة الله تعالى علي وفي جنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سابع
وهو اعظمها ولا ينتبه عليه الا متيقظ وهو ان يقول الشيطان اجتهد انت في السر
فان الله سيظهره عليك ويلبس على كل عامل عمله واراد بذلك ضربا من الرياء فان
عصمه الله رده بان قال يا ملعون الى الان كنت تاتيني من وجه افساد العمل
والان تاتيني من وجه اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله وهو سيدي ان شاء

اظهر

اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه وما ابالي
ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع ويقول لا حاجة جه
لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك
فعله فان عصمه الله رده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال الامر والعبودية والرب
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ثم انه ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت
سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا محتاج اليه كيلا الوم
نفسي على ان الله لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني وعلى اني ان ادخلت النار
وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق
وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن اتى الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل
النار البتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله الجنة لكن لوعد الله الصادق وهذا المعنى
اخبر الله تعالى عن السعداء فقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله فان
الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الافعال والاحوال واستعن بالله تعالى واستعذ
به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥

العائق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله تعالى وايانا بالحذر
من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها
اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين
احدهما انه عدو من داخل البيت واللص اذا كان من البيت عز الحيلة فيه وعظم

الضرر ولو صدق القائل شعر

نفسي الى ما ضرني داعي تكثر اسقامي واوجاعي

كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي

والثاني انه عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فان يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيبها وهي في عداوتها
واضرارها وما اوشك ان يوقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان حفظه الله تعالى
بفضله وعين عليها برحمته ثم اقول تأمل ايها الرجل نكتة مقنعة وهي اذا
نظرت وجدتها اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة وقع في خلق الله
من اول الخلق الى يوم القيمة من قبل هذه النفس اما بها وحدها واما بمعونتها
ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه بعد القضاء
السابق هو النفس بكبرها وحسدها لعنته بعد عبادة ثمانين الف سنة فابتلى
في خزي الضلال فحرق الى الابد الابدين اذ لم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان
بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت ثم ذنب آدم وحوا عليهما
السلم طرحتهما شهوة النفس في ذلك لحرصهما على البقاء والخلود حتى اغترا
بتمويه ابليس وكان ذلك اذن بعون النفس وشركتها حتى سقط بذلك من جوار
الله وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة لغني ما لقي

ولقي

ولقي اولاده ما لقوا من ذلك اليوم الى ابد الآبدين ثم حدثت قابيل وهابيل كان
السبب في امرهما الحسد والشح ثم حدثت هاروت وماروت كان السبب فيهما
الشهوة ثم هلم جرا الى يوم القيمة لا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا هلاك
ولا معصية الا واصلها النفس وهواها ولما كان الخالق في سالفه وغابره
واذا كان عدوا بهذا القدر كله حق على العاقل ان يهتم بامره والله تعالى
ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت ـــــ فما الحيلة لنا اذن
في هذا العدو وما التدبير في امره فبين ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم
ان امرها عسير وصعب اذ لا يمكن قهرها بمرة كما بالاعداء اذ هي المطية
والآلة وقيل ان اعرابيا دعا لانسان بخير فقال كبت الله كل عدو لك
الا نفسك ولا امكنا منها لها مرة لمكان ضررها فيحتاج الى طريق من طرق
تربيتها وتقويتها بقدر ما تحتمل فعل خير وتضعيفها وتحبسها على حد لا تتمادى
فان سبيل امرها في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها ان تلجمها
بلجام التقوى والورع لتحصل الفائدتان جميعا فان قيل ان هذه دابة
جموح وهي صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى يمكننا منها فاعلم
انك لصادق والحيلة فيها تذليلها حتى تنقاد للجام قال علماؤنا
رحمهم الله ان الذي تذلل النفس ويكسر هواها ثلاثة اشياء احدها منع الشهوات
فان الدابة الحرون تلين اذا حبست في نقص من علفها والثاني حمل

أثال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع نقصان علفه تلكا
وانقاد ولنا لتا لك الاستعانه بالله عز وجل والتضرع اليه بان نعينك
والا فلا مخلص اما تسمع قول يوسف صلى الله عليه وسلم مخبر الصادق ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلثه انقادت لك
النفس الجموح باذن الله تعالى … بادرا الى ان تملكها وتلجمها وتامن شرها
فان قلت … فبين لنا ما سر التقوى حتى نعلمه فاعلم ان التقوى
كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس
وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم وكان خيرات
الدنيا والاخره جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة التي هي التقوى وتامل
ما في القران من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من اجر وثواب
وكم اضاف اليها من سعاده وانا اعد لك من جملتها اولها المدحه
والثناء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
والثاني الحفظ والحراسة قال الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع الذين
اتقوا وقال الله تعالى والله ولي المتقين والرابع النجاة من الشدايد
والرزق من الحلال قال الله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامس صلاح العمل قال الله تعالى

يا ايها

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادس غفران
الذنوب قال الله سبحانه ويغفر لكم ذنوبكم السابع محبة الله تعالى قال الله تعالى
ان الله يحب المتقين الثامن القبول قال الله سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
التاسع البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخره الحادي عشر النجاة من النار قال الله سبحانه ثم ننجي
الذين اتقوا ويجنبها الاتقى الثاني عشر الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت
للمتقين فهذه كل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها
الرجل منها ثم الذي يخص هذا الشان من امر العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق
والتاييد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل
واتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله تعالى يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول
العمل وهو للمتقين قال الله سبحانه انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه
الامور الثلثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح للتقصير حتى يتم ثم القبول
اذا تم وهذه الثلثة التي يتضرع فيها العابدون الى الله ويسالون فيقولون ربنا وفقنا
لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد وعد الله تعالى ذلك كله على التقوى وكرم
بها المتقين سالوا او لم يسالوا فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله بل ان اردت
من اتقى الله فذاك الذي يتوقى له المتجر الرابح ولقائل
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي هـ وكتب بعضهم على بعض القبور
أليس قد استوى التقي فخذ الزاد أو دع هـ ثم يا آمل الصلاح وأجل ثوابه هب أنك فخذ منه اهـ
قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت أليس
الشأن كله في القبول فقد علمت أن الله تعالى يقول إنما يتقبل الله من المتقين فرجع
الأمر كله إلى التقوى ولذلك روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما أعجب رسول
الله صلعم شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد إلا ذو تقى وعن قتادة أنه مكتوب في التوراة
يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شئت وبلغني عن عامر بن عبد قيس أنه بكى عند موته وكان يصلي
كل يوم وليلة ألف ركعة ثم يأوي إلى فراشه ويقول لنفسه يا مأوى كل شر والله ما
رضيتك لله طرفة عين فقيل له ما يبكيك قال قوله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين ثم
تأمل يا أخي وفقك الله وأصلح أمورك ما ذكر أن بعض الصالحين قال لبعض إخوانه أمورك
أوصيك بما أوصاك ووصية الله رب العالمين للأولين والآخرين قوله تعالى ولقد وصينا
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله قلت أما البر الله أعلم بصلاح
العبد من كل أحد وليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد ولو كانت
في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر وأجل في العبودية
وأعظم في القدر وأولى بالحال وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله
أمر بها عباده وأوصى خواصه بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته فلما أوصى بهذه الخصلة
الواحدة وجمع الأولين والآخرين في ذلك واقتصر عليها علمنا أنها الغاية

التي

التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وأنه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وإرشاد
وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته
وعلمنا أن هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة الكافية
لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات في العبودية وهذا أصل لا مزيد عليه
وفيه كفاية لمن أبصر النور واهتدى وعمل بذلك واستغنى والله
ولي الهداية والتوفيق بمنه فإن قلت لقد عظم قدر هذه
الخصلة وجل موقعها ويلزم طلبها وتشتد الحاجة إلى معرفتها فلا بد الآن
من تفصيلها فاعلم أن الأمر كذلك وحق لها أن يجل قدرها ويلزم طلبها
ويمس الحاجة إلى علمها ولكنك تعلم أن كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابه
إلى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فإذا كان أن هذه
الخصلة عظيمة كثيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية في
تحصيلها أيضا الفعل كبير وشأن عظيم فإن المكارم على حسب المكاره
وإن اللذات على حسب المؤنات والله سبحانه يقول والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وإن الله تعالى هو الرؤوف الذي بيده تيسير كل
عسير فاستمع وتنبه لبيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم تشمر
للقيام بها واستعن بالله تعالى حتى تعمل بما تعلم فإن الشأن كله في ذلك
والله تعالى ولي التوفيق والهداية فنقول تفصيلها اعلم أن

ان التقوى في قول شيخنا هي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عليك مثله حتى يحصل العبد من قوة العزم على تركه وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا رحمهم الله وذلك ان اصل لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر كالوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى فابدلت من الواو تاء كما في تكلان والتكلان ونحوهما فقيل تقوى فاذا لم تحصلت وقاية بين العبد والمعاصي من قوة عزمه على تركها ووطن قلبه على ذلك فهو حينئذ يوصف بانه متقي وقال لا ذكر التبرئة والعزم والتي طهر تقوى

والتقوى في القرآن يطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب فهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب عما ذكرنا ثم قالوا رحمهم الله منازل التقوى ثلاث تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله تعالى في آية واحدة وهو قوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم

اتقوا

اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار عقود السنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها بالاحسان وهي الطاعة والاستقامة عليها فيكون منزلة الاستقامة على الطاعة فالاية جمعت ذكر المنازل الثلث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قال العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر عن النبي صلعم انه قال انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به حذرا عما به باس فاحببت ان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فقلت التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في الدين الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه متقي اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه من شراب او طعام او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يجر صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن اراد ان يامن الضرر في امر دينه اجتنب الخطر وامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قاله صلى الله عليه لتركهم ما لا باس به حذرا مما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغ الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول هذا

تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها على موضوع علم الشرع فنقول حد التقوى
الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه
حتى تصيره لك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشر ضربان شر
اصلي وهو فضول كل ما نهي عنه كالمعاصي المحضة وغير اصلي وهو ما نهي عنه
تأديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات فالاولى تقوى فرض
يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس
والحساب والتعيير واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الدنيا من التقوى
وهي منزلة استقامة الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة العليا
من التقوى وذلك منزلة استقامة ترك المباح فاذا جمع العبد بينهما اعني
اجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وتمامها وجمع كل خير منها
فهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله
على باب الله فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهم موفقا ان شاء الله 5
فان قلت فتفصل لي الآن هذا المعنى في النفس واستعمالها فيها فان
الحاجة جاءت من هنا الى لنعلم كيف نلجم هذه النفس بهذا المعنى الذي فصلت لي ذكرها
من حقيقة التقوى فاقول اجلا اما تفصيله في امر هذه النفس ان تقوم عليها
بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك
كنت قد اتقيت الله تعالى في عينك واذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك

والجمتها

والجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح طويل وقد اشرنا اليه في كتاب احياء علوم
الدين واما الذي لا بد منه ههنا ان تقول من اراد ان يتقي الله سبحانه وتعالى على جميع الاعضاء
الخمسة فانهن الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحرص عليها
بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررا في امر الدين من معصية وحرام وفضول
واسراف في حلال واذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكفي شر سائر اركانه
ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى فدعت الحاجة الى بيان جملة
فضول هذه الاعضاء وتفصيل ما يحرم في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا
الكتاب فالاول
فصل
العين عليك وفقك الله وايانا بحفظ
العين فانها سبب كل فتنة واذكر في امرها ثلاثة اصول كافية آخره احدها ما قال الله تعالى
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
فاعلم انك اذا تأملت هذه الآية فاذا فيها مع قصرها ثلاث معان عزيزة تأديب وتنبيه
وتهديد فاما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وكان بد للعبد من امتثال
امر السيد والتادب بادبه والا فيكون سيئ الادب فيحجب ولا يؤذن
له في حضور المجلس والمثول في الحضرة فافهم هذه النكتة ثم تأمل ما تحتها فان فيها
ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم على معنيين والله اعلم احدهما ذلك
اطهر لقلوبهم والذكوة الطهارة والتزكية التطهير والثاني ذلك انمى لخيرهم
واكثر لان الزكوة في الاصل النمو فنبه على ان في غض البصر تطهير

القلب ويكثر الطاعات والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك وارخيت عنانها
تنظر الى ما لا يعنيك فلا تخلو اما ان يقع عينك على حرام فان تعمدت فذنب وكبيرة
وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى ولقد روي ان العبد لينظر النظرة
ينغل قلبه بها عليه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وان كان مباحا فربما
يشتغل قلبك به ويحدث الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فيبقى مشغول
القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك فكنت مستريحا من ذلك كله
وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة
وكفى بها فتنة لصاحبها وقال ذو النون نعم صاحب الشهوات غض الابصار
للعين ولقد احسن القائل حيث يقول ع وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر ه فاذن لما كنت غاض
البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ
القلب مستريحا عن كثير من الوساوس سالما من الافات متزايدا في الخيرات
فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله تعالى الموفق بمنه وفضله واما التهديد
فقوله تعالى ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا اصل واحد من كتاب الله
تعالى والاصل الثاني ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن
المراة سهم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله تعالى طعم عبادة تسره وان وجران

حلاوة

ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق المرء
ان يستحيي منهما فلا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
الثاني ارسال كتاب الى الله تعالى من اللغو والهذر فليحذر العبد من ذلك وليخش الله
وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم في الخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك
فانظر ماذا تملي والثالث قراءته يوم القيامة بين يدي الملك الجبار على رؤوس الاشهاد
بين الشدائد والاهوال عطشان عريان جيعان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعم
الرابع اللوم والتعيير لماذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العالمين وقيل
اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا
في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر تجد فيه الشفاء ان شاء الله تعالى

الرابع **فصل** الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب واصلاحه وحسن النظر
في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها
اصلاحا واذكر خمسة فيه اصول مقنعة الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين
وما تخفي الصدور وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وقوله تعالى انه
عليم بذات الصدور كم ذكره وكم كرره في القرآن وكفى باطلاع العليم الخبير
تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة
فانظر ماذا تعلم من قلبك والاصل الثاني قول رسول الله صلعم ان الله تعالى
لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم فالقلب اذن موضع نظر رب العزة فواعجبا

ممن يهتم بوجهه الذي هو منظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه
بما امكنه لئلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين ليلا ونهارا
فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب على دنس وشين وآفة وعيب بل يهمله
بفضائح واقذار وقبائح واقذار لو اطلع عليه الخلق لهجروه على واحدة منها
وتبرؤوا منه وطردوه والله المستعان الاصل الثاني ان القلب ملك مطاع
ورئيس متبع والاعضاء كلها تبع له فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك
استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب فاذا كان
صلاح الكل في ذلك فيجب صرف العناية اليه الاصل الرابع ان القلب خزانة
كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله تعالى التي هي
سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله ثم النية
الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكمة التي
هي شرف العبد وساير الاخلاق الشريفة والخصال التي بها تفاضل الرجال على الحميدة
ما فصلنا وشرحنا في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ
وتصان عن الادناس والآفات وتحرس وتحرز من السراق والقطاع وتكرم احياء العلوم
وتعز بضروب الكرامات لئلا يلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يطفئها العدو بغير وبر
بالله عياذا الاصل الخامس انه تأملت حاله فوجدت له خمسة احوال ليست

لغيره

لغيره من اعضاء ابن آدم احدها ان العدو قاصد اليه مقبل عليه ملازم له
فان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فهو منزل الالهام والوسوسة يقرعانه ابدا
بالدعوتين الملك والشيطان والثاني ان الشغل له اكثر فان الهوى والعقل
كلاهما فيه فهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل وجنوده فهو ابدا محل
تجاذبهما ولقائهما وتناقضهما وحق بالثغر ان يحرس ويحصن ولا يغفل والثالث
ان العوارض له اكثر فان الخواطر له كالسهام لا تزال تقع فيه وكالمطر لا يزال يمطر
عليه ليلا ونهارا الا يسقط ولانك تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التي بين
جفنين تغمض فتستريح او يكون في موضع خاليا وليل مظلم فتكفى وبينها اللسان
الذي هو وراء الحاجز الاسنان والشفتين وانت القادر على منعه وتسكينه بل القلب
غرض الخواطر لا تقدر على منعها ولا تحفظ منها بحال ولا انها تنقطع عنك بوقت ثم النفس
مسارعة الى اتباعها والامتناع عن ذلك مجهود الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة والرابع
ان علاجه عليك عسير اذ هو غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه آفة وتعرض له حاجة
فتحتاج ان تبحث عن ذلك اتم البحث بطول الجهد ودقيق النظر وكثرة الرياضة
الخامس ان الآفات اليه اسرع فهو للانقلاب اقرب فلقد قيل

ان القلب اسرع انقلابا من القدر اذا غليانها   ولذلك قيل
ما سمي القلب الا من تقلبه   والرأي يصرف بالانسان اطوارا

ثم ان ذلك القلب والعياذ بالله فوالله اعظم وقوعه اصعبها قطع ادناه ميل الى غير انه
مهموم الاحوال

وتكبر على الشرع

سبحانه ومنتهاه ختم وكفر بالله اما تسمع قوله تعالى ابى واستكبر كان الكبر بقلبه
يحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تع ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه
فكان الميل واتباع الهوى بقلبه فحمله ذلك على الدنيا المشؤم بنفسه اما تسمع
قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في
طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله الخواص على قلوبهم
وبكوا عليها وصرفوا اعتنائهم اليها قال الله سبحانه في وصفهم يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين بالعبر المهتمين بمواضع
الخطر الموفقين لاصلاح قلوبهم بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان قيل ان امر
هذا الامر لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وتمنعه عن الآفات التي تعترضه — القلب صح
فتفسده عسى ان نوفق للاجتهاد في العمل بذلك تعالى الله اعلم ان تفصيل هذه المعاني لطويل
لا يحتمله هذا الكتاب وانما علمها لا يخرج عنها باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه النكتة
لا غير وقد ذكروا وانما يحتاج اليه من ذلك سبعين خصلة محمودة في اضدادها الملومة — اى سبعين خصلة
ثم من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة ونحو ذلك في ساير تفاصيلها ولعمري
ان من اهمه امر دينه وانتبه من رقدة الغافلين فينظر لنفسه فلا يكون تحصيل
جميع ذلك والعمل به عليه كبيرا اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها في شرح
عجايب القلب من كتاب احيا علوم الدين واتينا على شرح عجايبها جميعا تفصيلها في
كيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم

الغاية

الغاية ولا ينتفع به الا الخواص العلماء الراسخين في علم الآخرة وموضع هذا الكتاب ان
ينتفع به المبتدي والقوي والضعيف فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج القلب
والحاجة اليها ماسة ولا غنية عنها البتة في سلوك العبادات فوجدناها اربعة اصول وهي من اعظم
اعلا اى — العابدين وآفات المجتهدين ومن امراض القلوب وبليات النفوس تعوق وتثبط وتفسد وتتلف
واربعة في مقابلتها هي قوام العبادة وانتظامها وصلاح القلوب فاما الآفات الاربع
فالامل والاستعجال والحسد والكبر واما الاربع قصر الامل والتاني في الامور والنصيحة
للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها فلذلك ان كان
عليها المدار فلتبذل المجهود في التحرز عن هذه الآفات والتحصيل لهذه المناقب لتلقى
المراد وتظفر بالمقصود ان شا الله وساخبرك عن هذه الآفات بكلمة وجيزة مقنعة
اما طول الامل فانه العايق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة فانه الداء
العضال الذي يوقع الخلق في انواع البليات واعلم انه اذا طال املك هاج لك منه
اربعة اشيا احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف افعل والايام بين يدي ولا تفوت
ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمه الله حيث يقول من خاف الوعيد قرب عليه البعيد
ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازي الامل قاطع من كل خير والطمع مانع
من كل حق والصبر صاير الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر والثاني ترك
التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب وفي الايام سعة وانا شاب وسني قليل والتوبة
بين يدي وانا قادر عليها متى رمتها وربما اغتال الحمام على ان لا حذار ولا احتياط

الاصرار و

الاجل قبل اصلاح العمل والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة
وتقول اخاف الفقر في الكبر وربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء فاضل ادخره
لمرض او هرم او فقر هذا ونحوه يحرك اليه الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام
للرزق تقول ايش آكل وايش البس وهذا الشتاء وهذا الصيف وما لي شيء ولعل العمر
يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب عظيمة ولا بد من قوت وغنية عن الناس هذه
وامثالها تحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها فاقل
ما في الباب شغل تشغل قلبك وتضيع عليك وقتك وتكثر همك وغمك بلا فائدة والطائل
على ما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف
ذلك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان
للآخرة لانك اذا تأملت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اخوف ما اخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوى
الا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذن يصير فكرك
وذكرك في حديث الدنيا واسباب العيش في صحبة الخلق ونحو ذلك فيقسو القلب
من هذه وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب
واحوال الآخرة واذا لم يكن شيء من ذلك فمن اين يكون للقلب رقة وصفوة
قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولانك اذا املت الامل قلت وكثير منهم فاسقون
طاعتك وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت

غفلتك

غفلتك عن العاقبة فذهبت والعياذ بالله ان لم يرحم الله تعالى آخرتك فاي حال
اسوأ من هذه واية آفة اعظم من هذه وكل هذا بسبب طول الامل فاما ان قصرت
املك وقربت من نفسك موتك وتذكرت حال اقرانك واخوانك الذين غافصهم الموت [illegible]
في وقت لم يحتسبوا ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفسي الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله
رضي الله عنه كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يدركه لو رأيتم الاجل ومسيره
لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم الدنيا ثلاثة ايام امس
مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي حازم رضي
الله عنه الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها
ام لا فلست تملك الحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت من ساعة الى ساعة ثم قول [illegible] الدنيا [illegible]
بليلتها ثلاثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا
فاجأه الموت قبل الآخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادري
بهذا النفس الواحد الى طاعة الله تعالى قبل ان تفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني
تموت ولا تهتمي بالنفس والرزق فلعلك لا تعيش فتحتاج اليه فيكون همك ضايعا
والهم فاضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد وساعة واحدة او نفس
واحد اما تذكرين ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم اما تعجبون من [illegible]
اسامة المشتري الوليدة الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت
اني ارفعها ولا لقمت لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذي نفسي بيده

لما يوعدون الحث وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت هذه الاذكار ودوامت
على ذلك بالاعادة والتكرار يقصر املك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك تبادر الى
الطاعات وتعجل توبتك وتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فتخف
حسابك وتعينك وتنفع قلبك في تذكر الاخرة واهوالها وما هو من نفس ان تعين تصير اليها
وتعاينها واحدا واحدا فيزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة والخضوع وتستشعر عند ذلك
الخوف من الله والخشية فيستقيم لك الامر العبادة ويقوى الرجاء ان تسعد في عاقبتك
فتظفر بالمراد في الاخرة وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب هذه الخصلة التي هي قصر
الامل ۞ ولقد حكى لي رزاده ابن اوفى قال لي في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم
قال الرضا وقصر الامل فاحرص انت ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل
الكبير فانه الاهم والاعظم في اصلاح القلب والنفس والله ولي التوفيق بفضله وكرمه
واما الحسد فانه المفسد للطاعات الباعث على الخطيات وانه الداء الذي ابتلي الكبير
به الكثير من الفقهاء القراء والعلماء فضلا عن العامة الجهلاء حتى اهلكهم واوردهم
النار اما تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار ستة العرب
بالعصبية والامراء بالجور والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرساتيق
بالجهل والعلماء بالحسد وان بلية بلغ شومها ان اوردت العلماء النار لحقيق ان يحذر
منها واعلم ان المحسنه الحسد بهيج خمسة اشياء احدها فساد الطاعات قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والثاني يغل

المعاصي والشرور على ما قال وهب رحمه الله تعالى الحاسد له علامات يتملق اذا شهد
ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة قلت وحسبك ان الله امر بالاستعاذة
من شر الحاسد فقال الله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان
فانظر كم لهذا من الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان والساحر حتى ان الاستعاذ
عليهم والاستعاذة بالله رب العالمين والثالث التعب والغم من غير فايدة بل مع كل
وزر ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دايم وعقل
هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من احكام الله تعالى ولقد قال سفيان
الثوري رحمة الله عليه عليك بطول الصمت تملك الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا
ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان
ولا يكاد يظفر بمراد ولا ينصر على عدو كما قال حاتم الاصم الطعان غير ذي دين والعايب
غير عابد والنمام غير مامون والحسود غير منصور قلت الحسود كيف يظفر بمراد ومراده
زوال نعم الله عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدايه وهم عباد الله المومنون ولقد احسن
ابو يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم وان الحسد
داء يفسد عليك الطاعة ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس ونور القلب وفهمه
والنصرة على الاعداء والظفر بالمطلوب فاي داء يكون ادوى منه وعليك بمعالجة نفسك من ذلك
والله ولي التوفيق واما الاستعجال والنزق فانه الخصلة المفوتة للقاصد الموقعة في
المعاصي وان منها تدوافات اربع لمدبها ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة

ويجتهد فربما يستعجل في نيلها وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر ويبئس ويترك الاجتهاد فيحرم والنجاح
تلك المنزلة واما ان يغلو في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو من افراط وتفريط
وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان دينا
هذا متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا
ابقى وفي المثل السائر ان لم تستعجل تصل ولبعضهم شعر قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون من المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعا
ويجد فربما يستعجل الاجابة في غير وقتها فلا يجدها فيفتر وييأس ويترك الدعاء
فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء
عليه فيهلك مسلم بسببه وربما تجاوز الحد فيقع في معصية وهلاك قال الله تعالى
ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا والرابعة ان اصل العبادة
وملاكها الورع والورع اصله النظر البالغ في كل شي والبحث التام عن كل شي هو
بصدده من اكل وشرب ولبس وكلام وفعل فتثبت وتمهل فاذا كان الرجل مستعجلا
في الامور غير متان ولا متثبت فيها مستن لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب
ويتسارع الى كل كلام فيقع في الزلل والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك
في كل امر فيفوته الورع واي خير في عبادة بلا ورع فاذا كان فيه خصلة الانقطاع
عن منازل الخير وحرمان الطلبات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوت الورع
الذي هو راس المال فحق الانسان ان يهتم لها بازالته واصلاح النفس بعدها والله تعالى

الموفق

الموفق بفضله ومنه واما الكبر فانه الخصلة المهلكة راسا اما تسمع قوله تعالى
ابى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة الخصال التي تقدح في حل
وتضر بفرع وانما تضر بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد واذا قويت وغلبت لا يتدارك
والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج منها على صاحبها اربع افات احدها حرمان الحق وعمى
القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله سبحانه قال الله سبحانه
سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار الثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله
سبحانه انه لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض
خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه
الثالثة الخزي والنكال في الدنيا والاخرة قال حاتم اجتنب الموت على ثلثة على
الكبر والحرص والخيلا فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من
اراذل اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة
ماء والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل من تكبر
بغير حق اورثه الله ذلا بحق الرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي ان الله سبحانه ان
يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان
العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره
تختص به لا يشارك فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله واحكامه الذي هو ملـ



لابتوة

الامر كله ثم تميز له المقت من الله والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لم ينبغ لعاقل
ان يغفل عن ذكره في نفسه فلا يصلحها باز التبعا بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله من ذلك
وهو جل وعز ولي العصمة عنه فهذه بعض لحضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات
وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا اهمه امر قلبه وخاف على امر دينه والله
الموفق فان قلت فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال ولزم التحفظ
منها فلا بد من معرفة تحقيقها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف كيف الطريق الى التحفظ عنها
اعلم ان في كل واحد منها كلاما كثيرا وقد اشبعنا القول فيه في كتابي الاحيا والاسرار
ونحن نذكرها هنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغنى عنه فنقول وبالله التوفيق
اما الامل فقال اكثر علمائنا انه ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك
الحكم فيه بان تقيده بالاستثنا بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في
الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بان اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم
والقطع فانت امل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم
من الله فقلت اعيش ان شا الله او ان علم الله اني اعيش فقد خرجت من حكم الامل
وكذلك ان اردت حيوتك الموقت الباقي قطعا فانت امل وان قيدت ارادتك بشرط الصلاح
خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم
في ذكر البقا وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك
والتثبيت للقلب عليه فافهم راشدا ان شا الله تعالى ثم الامل ضربان امل العامة

وامل

وامل الخاصة وامل العامة ان يريد الحيوة والبقا لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية
محضة وضدها قصير الامل قال الله سبحانه ويلههم الامل فسوف يعلمون
وامل الخاصة ان يريد البقا لاتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن الصلاح له فانه انما
يكون خير معين لا يكون للعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع بسببه في عجب او آفة لا يقوم خبر ؟
بها هذا الخير فاذن ليس للعبد اذا ابتدا في صلوة او صوم او غيرها ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب
ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيد ذلك بالاستثناء وبشرط الصلاح ح
فيخلص من عيب الامل قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشي اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشا الله وضد هذا الامل فيما قال علماؤنا النية وانما قالوا ذلك على ضرب من
الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة يكون ممتنعا عن الامل فهذا حكم الامل في النية المحمودة
اذ قد مست الحاجة اليها والى معرفتها مع انها الاصل الاصيل فالوافي حدها التام الجامع
ان النية الصحيحة المحمودة ارادة اخذ عمل ميتدابه قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه
بالتفويض والاستثنا فان قيل فلم جاز الحكم في الابتدا ووجب التفويض والاستثنا
في الاتمام يقال له لفقد الخطر في الابتدا اذ هو حال الابتدا البين غير متراخ عنك والثبوت
الخطر في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطر اذ خطر الوصول لا يدري هل تصل الى ذلك
ام لا وخطر الفساد لا تدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذن وجب الاستثنا لخطر الوصول
والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هذه الشروط تكون حينئذ نية محمودة خارجة
عن حد الامل وافته فتامل جدا فهذه هذه واعلم ان احسن قصر الامل ذكر الموت وحسن

العمر

حصينة ذكر فجاة الموت واخذه على غفلة وغرة وهو في غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة
وحصلها موفقا فان الحاجة اليها ماسة ودع عنك تضييع الوقت في القيل والقال وملاحاة
الرجال والله الموفق بفضله واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له
فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه لكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام لا حسد
الا في اثنين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد اتساعا لمقاربتهما فان لم يكن
له فيها صلاح واردت زوالها عنه فذلك غيره ايضا فهذا الفرق بين هذه الخصال
واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح
فان قيل كيف يعلم انه له فيه صلاحا او فسادا لتنصحه او تحسده فاعلم انه قد يكون التنبيه فيها
غالب الظن بذلك وغلبة الظن مما يجري مجرى العلم في هذا الموضع ثم ان اشتبه عليك فلا ترد
زوال نعمة احد من المسلمين وابقايها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح ليخلص
من حكم الحسد ويحصل لك فائدة النصيحة واما حصن النصيحة المانع عن الحسد
فهو ذكر ما اوجب الله تعالى من موالاة المسلمين محض هذا الحصن ذكر ما عظم الله سبحانه
من حق المومن ورفع من قدره وما له عند الله من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه
من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر في الجماعات والجمعات مما ترجو
من شفاعته في الاخرة فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسده
في نعم اعطاها الله تعالى اياه والله ولي التوفيق واما العجلة فانها معنى الراتب في القلب الباعث
على الاقدام على الامر بادي الخاطر دون التوقف فيه والاطلاع عليه والاستطلاع منه والاستخالة

اتباع

اتباعه والعجلة وضدها الاناة وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور
والنظر فيها والتاني اتباعها والعجلة بها ثم التوقف فضده التعسف فالفرق
بين التوقف والتاني ان التوقف قبل الدخول في الامر حتى يستبين له رشده والتاني بعد
الدخول فيه حتى يؤدي كل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور
التي تعرض للانسان وضروب الافات المخوفة فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة
وما في التعسف والاستعجال من الندامة والملامة هذه وامثالها ما يبعث على التاني
والتوقف في الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف والله سبحانه ولي العصمة بمنه
واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة خاطر
في وضع النفس واستحقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عام وخاص فالتواضع
العام هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتكبر في مقابلته الترفع
عن ذلك والتواضع الخاص هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعا او شريفا
والتكبر في مقابلته الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة ثم حصن التواضع
العام ان تذكر مبتداك ومنتهاك وما انت عليه في الحال من ضروب الافات والاقذار
كما قال بعضهم اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك حامل العذرة
وحصن التواضع الخاص هو ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل ضده جهله كافية
لمن استنصر والله الموفق برحمته الخامس فصل البطن وحفظه ثم عليك بحفظ
البطن واصلاحه فانه اشق الاعضا اصلاحا على المجتهد واكثرها مونة وشغلا واعظمها

ضررًا واثرًا لانه المنبع والمعدن ومنه يهيج الاعضا من قوة وضعف وعفة
وجماح ونحوه فعليك اذا بصيانته عن الحرام اولا والشبهة ثم من فضول الحلال ثانيا
ان كانت لك همة في عبادة الله سبحانه اما الحرام والشبهة فانما يلزمك التجنب عنها لثلثة
امور اولها الحذر من نار جهنم قال الله سبحانه ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي عليه السلم كل لحم نبت من سحت
فالنار اولى به والثاني ان اكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة
الله تع الا كل طاهر متطهر قلت انا اليس الله قد منع الجنب عن الدخول في بيته والمحدث
عن مس كتابه قال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وقال تع
لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث امر مباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام
ونجاسة السحت والشبهة وهو يدعي الخدمة الله العزيز ذكره الشريف تقدس سبحانه
كلا فلا يكون ذلك ابدا وقال يحيى معاذ الرازي الطاعة مخزونة في خزاين الله ومفتاحها
الدعاء واسنانها الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم
ينفتح باب الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان اكل الحرام والشبهة
محروم فان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون له من
ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم كم من قايم ليس له من قيامه
الا السهر وكم من صايم ليس له من صيامه الا الجوع والظما وعن ابن عباس رضي الله عنه لا
يقبل الله صلوة امرئ في جوفه حرام فهذه هذه واما فضول الحلال فانه آفة للعابد

وبلية

وبلية لاهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر آفات من اصولها في هذا الشان الاولى
ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا
كثر عليه الماء ولقد شبهه ذكر بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تغلي تحت القلب
والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار تكدره وتسخمه الثانية ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء
وهيجها وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعان بطنه اشتهت عينه النظر
الى ما لا يعنيه من حرام او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج الشهوة
والرجل المشي اليه وان كان جايعا فيكون الاعضا كلها ساكنة هادية لا تطمح الى شيء من
هذا ولا تنشط له ولقد قال الاستاد ابو جعفر ان البطن عضو ان جاع شبع ساير
الاعضاء يعني سكن فلا يطالبك بشيء وان شبع هو جاع ساير الاعضاء وجملة الامر ان افعال
الرجل واقواله على حسب طعامه وشرابه ان دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول
خرج الفضول كان الطعام بذر الافعال والافعال نبته ومنه الثالثة ان في
كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الداراني اذ قال
اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والاخرة فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل
وهذا علم ظاهر علمه لمن اختبره الرابعة ان في كثرة الاكل قلة العبادة فاذا اكثر
الاكل ثقل بدنه وغلبته وفترت اعضاوه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم فهو كالجيفة
الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى صلى الله عليه وسلم

ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التى اصيد
بها بنى آدم فقال وهل تجد لى فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلوة
قال يحيى لا جرم انى لا اشبع بعدها ابدا قال ابليس لا جرم انى لا انصح بعدها احدا ابدا
فهذه فيمن لم يشبع فى عمره الا ليلة واحدة فكيف بمن لا يجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة
وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة الخامسة
ان فى كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما شبعت
منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربى ولا رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربى
وهذه صفات المكاشفين وكان رضى الله عنه مكاشفا واليه اشار النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلوة وانما هو بشى وقر فى صدره وقال
الدارانى احلى ما يكون العبادة اذا التزق ظهرى ببطنى السادسة ان فيه خطر
الوقوع فى الشبهة والحرام لان الحلال لا ياتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبى صلعم
ان الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا جزافا السابعة ان فيه شغل القلب
والبدن بتحصيله اولا وبتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم بالفراغ عنه والتخلص رابعا ثم بالسلامة
منه خامسا بان تبدو منه افة فى البدن من الافات والعلات ولقد قال صلعم
اصل كل داء البردة يعنى التخمة واصل كل دواء الازم يعنى الجوع والحمية
وعن مالك بن دينار انه كان يقول يا هولاء قد تخلفت الى الخلاء حتى استحييت
ثم لابد فى هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل

الثامنة

الثامنة ما يناله من امور الاخرة وشدة سكرات الموت وروى فى الاخبار ان غمرة
سكرات الموت على قدر لذة الحيوة فمن اكثر من هذه اكثر من تلك التاسعة
نقصان الثواب فى العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا
الاية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا تنقص لك من لذات الاخرة ولهذا المعنى
ان الله سبحانه وتعالى عرض على نبينا صلى الله عليه وسلم الدنيا وقال له ولا ننقصك
من اخرتك شيئا فخشى بذلك فدل ان لغيره النقصان الا ان يتفضل الله عليه بذلك
ولقد روى ان خالد بن الوليد اضاف عمر بن الخطاب رضى الله وهيا له طعاما فقال
عمر هذا لنا فما للفقراء المهاجرين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز شعير قال خالد لهم
الجنة يا امير المومنين فقال عمر لئن فازوا بالجنة وكان حظنا من الدنيا فقد باينوا (هذا صح)
منا بونا بعيدا وروى ان عمر رضى الله عنه عطش يوما فدعا بماء فاعطاه رجل اداوة فيها ([illegible])
ماء نبذ فيها تميرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا فامسك وقال اوه
فقال الرجل والله ما الوته حلاوة يا امير المومنين فقال عمر ذكر الذى منعنى
وحل لولا الاخرة لشاركناكم فى عيشكم العاشرة الحبس والحساب واللوم والتعيير
فى ترك الحذر فى اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عقاب وزينتها الى تباب فهذه جملة العشرة وفى احديها الكفاية لمن نظر لنفسه فعليك ([illegible])
ايها المجتهد بالاحتياط البليغ فى القوت كيلا تقع فى الحرام والشبهة فيلزمك العذاب
ثم بالاقتصاد من الحلال على ما يكون عدة على العبادة الله تعالى لئلا تقع فى شر وبقى فى

الحبس والحساب والله ولي التوفيق فان قلت فبين اولا حكم الشبهة والحرام وحدهما فاقول لعمر الله لقد اشبعنا القول فيه في اسرار معاملات الدين وذكرناه كتابا مفردا من كتاب الاحياء لكنا نشير الى كلمات مفرقة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدي في العبادة وتعين الطالب قال بعض العلما ما تيقنت كونه ملكا للغير منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن لك يقين بذلك ولكن يغلب على الظن انه كذلك فهو شبهة وقال اخرون الحرام المحض ما يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن تجري مجرى العلم في كثير من الاحكام فاما اذا تساوت الامارات حتى تقع ما كالا يكون لاحدهما ترجيح فذلك شبهة يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فما شتبه امره عليك فالتبرج الاثم الامتناع عن الذي هو حرام محض حتم واجب وعن الذي شبهة تقوى وورع هذا اولى القولين عندنا فان قلت فما تقول في جوايز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلما اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال اخرون الاولى ان لا يحل ما لا يتيقن انه حلال لان الاغلب في هذا العصر على اموال السلاطين الحرام والحلال في ايديهم معدوم وعزيز وقال اخرون ان صلات السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هديه المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهود مع قوله تعالى اكالون للسحت والربوا وقد ادرك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ايام الظلمة واخذوا منهم منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وقال

آخرون

اخرون لا يحل من اموالهم شي لغني ولا لفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب من مالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير انه عين الغصب فليس له ان ياخذه الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان ياخذ من مال السلطان لانه ان كان من ملك السلطان واعطى الفقير فله اخذه بلا ريب وان كان من فيء او خراج او عشر فللفقير حق فيه وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من دخل الاسلام طايعا وقرا القران ظاهرا فله في بيت المال كل سنة مايتا درهم وروي مايتا دينار ان لم ياخذها في الدنيا اخذها في الاخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم ياخذ من حقهما قالوا واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على مالكه وذريته فلا خلاص للسلطان منه الا ان يتصدق به وما كان الله ليامره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبولها وياذن للفقير في القبول وهو عليه حرام فاذن للفقير ان ياخذ الا عين الغصب والحرام فليس له اخذه وهذه المسايل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتحقيق واستيعاب القول فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من كتب احيا علوم الدين تجده مشروحا مبينا فيه ان شا الله تعالى فان قيل فما تقول في صلات اهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عنها ولقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملاتهم وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا

كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليه من قبول صلته وصدقته
ولا يلزم البحث بان يقول قد فسد الزمان فان هذا سوء الظن بذلك الرجل وحسن
الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ما هو الحاصل في هذا الباب وهو ان هاهنا
شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع ان
ياخذ ما اتاك من ظاهره صلاح ولا تسال الا ان تستيقن انه غصب او حرام بعينه
وحكم الورع ان لا تاخذ شيا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي
غاية الاستقصا فتستيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده ولقد روينا عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ان غلاما له اتاه بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جيتك بشي تسال النبي عنه
ولم تسال النبي عن هذا اللبن فقال رقيت قوما في الجاهلية فاعطوني هذا فتقيا ابو بكر رضي
الله عنه وقال اللهم هذه معذرتي مما بقي في العروق وانت حسبه فهذا ابدا لك على
وجوب البحث مما تقدم عليها ان كان لك نظر في الورع وحقه فهذه هذه فان قلت
فكان الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة والورع
موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الحر على المتقي اضيق من عقد العشر
ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم
الاحوط والافضل فالجايز يقال له حكم الشرع والافضل يقال له حكم
الورع فهما مع تغايرهما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا ان شا الله فان قلت

لذا جاز

فقال وما قصته

فسد

اذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شي واشتد علينا ما ناخذه في هذا الزمان ويعز
الامر جدا على صاحب الورع اذ لا بد له من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد
وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والا فلا يتم له ذلك
ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والسابقين الى الجبل لبنان وغيره فاقتصروا على
اكل الحشيش وثمرات نافهة لا شبهة فيها كحال من سمت همته الى نيل منزلة الورع الا على
فعلم ان يحتمل الشدايد ويصبر عليها ويسلك طريق اوليك لينال منزلتهم واما
ان اقام بين الناس واكل ما يتداولونه في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها
الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في
ذلك فلا يضره ان كان في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن
البصري في سوق السوق فكيف بالقوت ولقد بلغني عن وهيب بن الورد انه كان يجوع نفسه
يوما ويومين وثلثة ثم ياخذ عيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف
والحلم ان لم اكله اللهم ان كان فيه شي من خبث او حرام فلا تواخذني ثم ياكل الرغيف بالملح
فيا كله قلت فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلمه واما من
دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار ويقدر ما سعى
تنال ما تتمنى والله لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب
الحرام فاخبرنا عن حد الحلال وما حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار
الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيحبس ولا يحاسب فقال له

اذا فسد

فاعلم ان احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ان ياخذه العبد متفاخرا
مكاثرا مباهيا مرائيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله الحبس
والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشوم ويستوجب على باطن فعله وهو
التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الاخرة عذاب شديد
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا لقي
الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني
ان ياخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب الحبس والحساب
لقوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالها
حساب وحرامها عذاب والقسم الثالث ان ياخذ من الحلال في حال العذر وقدر ما يستعين
به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك فذلك خير وحسنة وادب لا حساب عليه
ولا عتاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة كقوله تعالى اولئك لهم نصيب
مما كسبوا وقال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة
وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك
لما قصد به هذا المقصود المحمود لله تعالى فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط
المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه يحتاج في كونه خيرا الى الحصر
الى شرطين احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو يجب ان

ان لم ياخذ

ان لم ياخذ يلحقه تعسير ان يكون حاله ان لم ياخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن
فرض او سنة او نفل فذلك يكون افضل من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة
فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر واما القصد فان يقصد به العدة والاستعا
نه
على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله
تعالى لما اخذت ذلك فهذا ذكر الحجة فلما حصل ذكر الحجة في حال العذر صار
ذلك الاخذ من الدنيا خيرا وحسنة وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون
حاله حال العذر ولا يكون له هذا الذكر او يكون له هذا القصد والذكر
او يكون له هذا الذكر
ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على خطة
الادب في هذا يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل فانه لا ياخذ الدنيا بحال الا لقوة على
عبادة الله تعالى حتى انه ان سهى عن ذكر الحجة في حال اجزاه ذلك القصد المجمل
عن تجديد ذكر الحجة فقد تحققتها فصارت الاصول الثلثة معتبرة في كل واحد
وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا والقصد
والاصل يرد
المجمل المقتضي عن تصحيح منزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فافهم ذلك
راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا الحلال لشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه
عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة
فالامر به امر تاديب والاخذ للشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك
معصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قيل

فاهذا الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسال يوم القيامة عماذا اكتسبت وفيماذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب وذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها عراة عطشانين وكفى بذلك بلية فان قيل فاذا احل الله لنا هذا الحلال فاللوم فالتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب بمن يجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعاتب بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله تعالى خلق الخلق لعبادته وهو عبد الله من كل وجه فحق للعبد ان يعبد الله من كل وجه امكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه فان لم يفعل ذلك واتبع شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير عذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار نعيم وشهوة استحق اللوم والتعيير من سيده فتامل هذا الاصل راشدا ولا قوة الا بالله فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جيدا تغنم الخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى والله ولي العصمة والتوفيق بفضله **فصل** فعليك ايها الاخ ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان هلاك الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتاب الاحياء وكتاب الاسرار والقربة ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصود هذا الكتاب اني سالت الله عز وجل ان يطلعني على معالجة النفس وان يصلحني ويصلح بي فاقتصر في هذا الكتاب المرتب

على نكت وجيزة اللفظ عزيزة المعنى تقنع من تاملها ويدله على واضحة من الطريق ان شاء الله وهذا الفصل يختص بنكتة في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان الامر لا يخلو من ثلاثة اما انت من ذوي البصائر والفطن فحسبك ان الدنيا عدوة الله سبحانه وهي حبيبك ووليك وان الدنيا نقيصة عقلك والعقل فيهتك واما انت من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا بلغ شومها انما تعقل ارادتها ويشغلك الفكرة فيها عن العبادة والخير فكيف نفسها واما انت من اهل الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها واما ان تفارقك كما قال الحسن ان تعبت لك الدنيا لا تبقى لها فاي فائدة اذن في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل حيث قال

هب الدنيا تصير اليك عفوا ... اليس مصير ذاك الى الزوال

وما دنياك الا مثل ظل ... اظلك ثم اذن بارتحال

فلا ينبغي لعاقل اذن ان يخدع بها ولقد صدق القائل فيما قال اضغاث نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع واما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون فهذا خير العالمين واعلمهم وافضلهم عند الله يحتاج مع ذلك الى ان يستعيذ بالله عز وجل من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك وتقصيرك

يو ... رب المنون وانشاء لا تبرح ... والى الثنية كل يوم ... فهي
حتى متى تستوفي النفوس بكاسها ... انفذ ضعيف لم تعلل الذي

وغفلتك واما الخلق فحسبك منهم انك لو خالطتهم ووافقتهم في اهوايهم
اثمت وافسدت امر اخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم وكذلك
عليك امر دنياك ثم لا تامن ان يحيلوك الى معاداتهم ومباداتهم فتقع في شرهم ولانهم
ان مدحوك وعظموك لخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين افة مهلكة
ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت الى القبر بثلثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك
وينسونك فلا يكادون يذكرونك كانهم لم يروك يوما ولم تر هم فلا يبقى هنالك
الا الله سبحانه افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هولاء الخلق مع
قلة الوفا وقلة البقا معهم وتترك خدمة الله الذي ترجع اخر الامر وحده
اليه ولا يبقى لك الا هو ابدا لابد بين والحاجات كلها اليه والتكلان كله عليه والاعتصام
كله في كل حال وعند كل شدة وهول به وحده لا شريك له فتامل يا مسكين
لعلك ترشد ان شا الله تعالى والله ولي الهداية بفضله واما النفس
فحسبك ما تشاهد من حالاتها ورداة ارادتها وسو اختيارها في حال الشهوة
بهيمية وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة
تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا ان اشبعتها
بطرت وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال العابد
الاول كحمار السوء ان اشبعته رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق

بعض

بعض الصالحين حيث قال ان كداه هذه النفس وجهلها بحيث لذا همت بمعصية
او انبعثت لشهوة فتنيتها اوتشفعت اليها بالله ثم برسوله وبجميع انبيايه وبكتابه
وبجميع السلف الصالح من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة
والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم اذا استقبلتها بمنع رغيف فانها تسكن
وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال
خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بها تنبيها لمن عقل ولقد
بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج
الى الغزو فقلت ان الله تع يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني بالخير ابدا
لا تكون ابدا هذه مرة ولكنها قد استوحشت فتريد لقاء الناس لتتروح ويتسامع
الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران
ولا انزلك على معرفة فاجابت فاسات الظن بها فقلت الله تع اصدق فقلت لها
اقاتل العدو حاسرا فتكونين من اول قتيل فاجابت فاسات الظن بها فعدد
اشيا مما ارادها فاجابت الى ذلك كله قال فقلت يا رب نبهني لها فاني
متهم لها مصدق لك فلوسفت كانها قالت يا احمد انت تقتلني كل يوم بمنعك
اياي من شهواتي مرات ولا يشعر به احد فان قاتلت قتلت مرة واحدة
فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر قال
فقعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها

ان النفس لامارة بالسوء

ما رأى الناس بعد الموت بحال لم يكن بعد ولقد صدق القايل والحسن فما قال
توق نفسك لا تامن غوايلها فالنفس اخبث من سبعين شيطانا فنبه
رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء ووطن على مخالفتها بكل حال
تصب وتسلم ان شا الله تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه ذكرها
واعلم ان هنا اصلا وهو ان العبادة شطران شطره الاكتساب و الاجتناب
والاكتساب فعل الطاعة والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيات وهو
التقوى وان الاجتناب على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف شطره
للعبد من الاكتساب ولذلك اشتغل المبتديون من اهل العبادة الاين هم من شطره
في اول الدرجة من الاجتهاد بالاكتساب فكل همتهم ان يصوموا نهارهم بشطره
ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشغل المنتهون اولو البصاير من اهل العبادة بشطر
الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله تعالى وبطونهم
عن الفضول والسنتهم عن اللهو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا اللغو
قال العابد الثاني من العباد ليونس يا يونس في الناس من حبب اليهم الصلوات
فلا يوثرون عليها شيا وهي عمود العبادة بالثبات لله تعالى والصدق والتضرع
والابتهال ومنهم من حبب اليهم الصوم فلا يوثرون عليه شيا ومنهم من حبب
اليهم الصدقة فلا يوثرون عليها شيا يا يونس وانا مفسر لك هذه الخصال
اجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كف الاذى فانك لا تتصدق

بشي افضل منه ولا تصوم بشي ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية و
الاجتهاد فان حصل لك الشطران ج جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل
امرك وحصل مرادك ولقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الا احدهما فليكن ذلك
جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعا وما ينفعك
قيام ليلة وتعبه ثم تحبطها بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل ثم تفسده
بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير
الخير كثير الشر والاخر قليل الخير قليل الشر فقال لا اعدل بالسلامة شيا ومثال
ما ذكرناه حال المريض وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف من البرء
الحمية فان اجتمعا فكانك بالمريض وقد برئ وصح والا فالحمية به اولى اذ لا ينفع
دوا مع ترك الاحتما ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية
والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء ولذا يقال ان الهند جل معالجتهم
الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرا ويصح بذلك لا غير
فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وجوهره واهلها هم الطبقة العلية
العليا من العباد فعليك ببذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية الى ذلك
والله سبحانه ولي التوفيق برحمته **فصل** ثم راع هذه الاعضاء
الاربعة التي هي الاصول اولا العين وحسبك فيها ان مدار الدنيا والدين على القلب
وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال

علي ابي طالب كرم الله وجهه من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني
اللسان وحسبك ان هيك ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة
والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وفسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع
والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة واحدة ما تعبت فيه سنة ولحدة
بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شي احق بطول السجن من اللسان وفيما روي ان احد العباد
السبعة قال ليونس بايونس ان العباد اذا اجتهد وافي العبادة لم يسعوا على
عبادتهم على شي افضل من الصبر على ترك الكلام في فصل طويل ثم عاد الى
ذلك فقال لا يكون عندك شي اكبر من حفظك لسانك ولا تكون لشي اغنى
به من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر الانفاس التي تكلمت بها في الفضول
ما كان يضرك لو قلت استغفر الله فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فتريح راس مالك
او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول
اسال الله العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله تعالى دعوتك فتنجو
من بلية الدنيا والاخرة والا يكون من الخسران العظيم والغبن القطيع ان تفوت
عن نفسك كل هذه الفوائد الكريمة فتجعل نفسك عرضة في فضول اقل ما يلزمك فيه
اللوم والحساب يوم القيامة ولقد احسن القائل في قوله شعر
واذا ما هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا والثالث البطن وحسبك
ان مقصودك العبادة وان الطعام شرب العمل ومادة منه يبدو وينبت واذا

خبث

خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تفلح ابدا
ومن ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي انه قال اذا صمت فانظر على اي شي تفطر
وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم من ياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله
ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة ومن نظرة منعت قراءة سورة وان الغافل ليا كل
الاكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ الشديد
في قوتك ان كان لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى
تكون من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت حمالا للطعام مضيعا للايام اذا قد
علمنا يقينا بل راينا عيانا ان العباد فلا يجي منها شي اذا امتلأ البطن وان اكرهت النفس
على ذلك وجاهدت بجهد الحيل فلا تكون لتلك العبادة لذة وحلاوة ولذلك قيل
لا يطمع حلاوة في العبادة مع كثرة الاكل واي بور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا
لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابرهيم بن ادهم رحمه الله صحبت اكثر رجال
الله في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم
من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة من ينم كثير الا يجد في عمره بركة ومن طلب رضى الناس
فلا ينتظر رضى الرب ومن يكثر الفضول والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام
وعن سهل انه قال جماع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا
باخماص البطون والصمت والاعتزال عن الناس وسهر الليل وقال بعض العلماء
الجوع راس مالنا ومعناه ان ما حصل لنا من فراغة وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع

بسبب الجوع والصبر عليه لله تعالى الرابع القلب فحيث انه اصل الكل ان
افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجر وساير الاعضاء اغصان
ومن الشجر تشرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وساير الاعضاء له تبع
واركان واذا صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت واذن صلاح العين
واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب وعمرانه واذا رايت خللا وفسادا
فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع ثمة بل الفساد فيه اكثر فاصرف عنايتك
اليه فاصلحه يصلح الكل عزة فتستريح ثم دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي
ليست تحت يدك والامتناع من اتباعها مجهود طاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا المعنى
صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد والاهتمام به اكثر عند ذوي البصاير
وعن ابي يزيد انه قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب
البلية فهذه هذه ثم عليك بالاهتمام في الخصال الاربع التي ذكرناها من الامل
والعجلة في الامور والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربعة من بين ساير الخصال
في هذا الموضع وخصصنا بالاحتراز منها لانها علل القراء خاصة اذ هي تعتري
ساير الناس عموما والقراء خصوصا فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القاري يطول
الامل ويغره نيته خير فيوقعه في الكسل والتواني في العمل وتراه يستعجل في تحصيل
منازل الخير فينقطع عنها او في اجابة دعاء صالح فيحرم من ذلك او في الدعاء على احد
بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح صلى الله عليه وسلم وترى الحسد نظراءه على

ما اتاهم الله من فضله حتى ربما بلغ منه ذلك مبلغا يحمله على قبايح وفضايح لا يقدم
عليها فاسق ولا فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري رحمه الله ما اخاف على
ديني الا من القراء والعلماء فاستنكروا ذلك منه فقال ما انا قلته انما قاله ابرهيم النخعي
وعن عطا قال قال لي الثوري احذروا القراء واحذروني معهم فلو خالفت اودهم
لي في رمانة فاقول انها حلوة ويقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي الى
سلطان جاير وعن مالك بن دينار اني اقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا
اقبل شهادة بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه
اشتروا لنا دارا بعيدة عن القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت
علي نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده معبسا
وجهه كانما يمن على الناس بما يصلي زيادة ركعتين او كانما جاءه من الله منشور بالجنة
والبراءة من النار او كانه استيقن السعادة لنفسه والشقاوة لساير الناس ثم مع
ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف وغيره ويتماوت وهذا لا يضاهي الترفع
والتكبر ولا يلائمه بل يناقضه ولكن الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد السبخي دخل
على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال الحسن ما لك تنظر الى
ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم
قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدكم بكسايه
اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى يشير ذو النون المصري رحمه الله تعالى حيث قال

تصوّف ثمّ ازدهى بالصوف جهلاً ✿ وبعض الناس يلبسه مجانة
يريك مهانةً ويريك كبراً ✿ وليس الكبر من شكل المهانة
تصوّف كي يقال له امين ✿ وما معنى تصوّفه الامانة
ولم يُرد الاله به ولكن ✿ اراد به الطريق الى الخيانة

فاحذر ايها الرجل من هذه الآفات الاربع لاسيما الكبر فان الثلثة الاول مدحض لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر مدحض لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر والطغيان فلا تنس حديث ابليس وفتنته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين فالرجوع الى الله سبحانه وتعالى ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه جواد كريم

فصل وجملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل تعرف ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها الدني يسيرها وتبعاتها من كدّ البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الآخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكبر من معونتهم فيما يعنيك تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه فتنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم وتجعل صحبتك لمن لا تخش في صحبته ولا تندم على خدمته وانس بكتابه وملازمتك اياه فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وافضال وتجده عند كل نائبة في الدنيا والآخرة كما قال عيسى عليه السلام

احفظ الله تجده حيث تتجه وعلمت ان الشيطان خبيث قد تجرّد لمعاداتك فاستعذ بربك القادر القاهر من هذا الكلب اللعين ولا تغفل عن مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله ولا تعبأن بمكره فانه يسير اذا ظهرت عزيمة الرجال وانه كما قال الله سبحانه انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم فيما قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى منها فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت جماح هذه النفس وجماحها الى ما يضرها ويهلكها فنظرت لها بنظر العقلاء والعلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الى الحال ولا يفطنون الى غاية الاذى ويتوقون مرارة الدواء فالجمتها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه الجمعة من فضول وكلام ونظر وتلبس خصلة فاسدة من طول امل او عجلة او حسد مسلم او تكبر في غير موضع او اكل محض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه ضررا اذ لا ضرورة الى ذلك وقد وسع الله تعالى الامر على عباده رحمة واغنائهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فاي حاجة الى الفضول في ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان النفوس اهون شيء اذا ابتغي شيء تركته فان النفس سلسة وتعود ما عودتها وانه كما قال

فالنفس راغبة اذا رغّبتها ✿ واذا تردّ الى قليل تقنع
وقال آخر
هي النفس ما عوّدتها تتعوّد ✿ وروي ما حمّلتها تتحمل
وقال آخر
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ✿ فان طمعت تاقت والا تسلّت

فاذا علمت ما وصفناه كنت من الزاهدين الراغبين في الآخرة واعلم ان من سمي باسم الزاهد فقد

سمي بالعابد محمود وكثير من المتفردين المنقطعين الى الله تعالى الذين هم اهل الامن وخدم رب
العزة فيكون كما قال القائل   تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق اغناهم   وكثير من المجاهدين في الله عز وجل
الخواص من عباده الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكثير من المتقين
الذين لهم سعادة الدارين ومن حسنه افضل من كثير من الملائكة المقربين اذ ليست لهم
شهوة يدعوهم الى قبيح ولا نفس خبيثة وكثير قد خلفوا هذه العقبة الطويلة الشديدة
وزال وسقط العوائق كلها الى مقصودك ولا يهولنك فانه مع الاستعانة بالله
والاعتصام به هين نسال الله تعالى وهو خير مسئول ان يمدك واياي بحسن توفيقه
وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والمستعان به في كل معضل فبيده الخلق
والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم

الباب الرابع في العقبة الرابعة

وهي عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكف العوارض الشاغلة
عن عبادة الله تعالى فتسد سبيلها عنك لئلا تشغلك عن مقصودك وقد ذكرت
انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس به لك وانما كفايته بالتوكل على الله
سبحانه فعليك بالتوكل في موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين احدهما
ليتفرغ للعبادة ويتمشى لك من الخير فان من لا يتوكل فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله
بسبب الحاجة والرزق والمصلحة اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب المال كما تم

اذا زين الناس اسواقهم فسوق المحسنين خوامهم

العقبة الرابعة

الراغبين واما بذكر ووسوسة الوقت كالمجتهدين المعالقين ما لعادة تحتاج الى فراغ
القلب والبدن ليحصل حقها والفراغ لا يكون الا للمتوكلين بل نقول كل من هو ضعيف
القلب لا يكاد تطمئن قلبه الا بشيء معلوم ولا يكاد يتم الامر خطير من دنيا وآخرة
وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد يقول انما الامور تمشي في العالم لرجلين متوكل ومتهور
قلت انا وهذا كلام جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة عادة
وجراءة قلب لا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر يضعفه فتجري
له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة بصيرة وكمال يقين بوعد الله
وتمام ثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه وشيطان يوسوسه عن
اعمال الخير فيقوم بمصالحه ويظفر بمطالبه واما المعلق الضعيف ابدا بين تحول
وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج في قفصه يرمق ما تعود
من صاحبه لا يكاد يتمكن من ذلك تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت
منته فلا يكاد يقصد امرا شريفا وان قصده فلا يكاد يظفر به ولا يتم له ذلك
الا ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا كيف نالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة
الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهليهم اما الملوك فيباشرون الحروب
ويكافحون الاعداء اما هلكا واما ملكا حتى يحصل لهم مرتبة الملوك وعقد
الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكر يوم صفين قال من اراد
خطيرا خاطر بعظيمته واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون

انفسهم واموالهم فى المقاطع شرقاً وغرباً ويوطنون انفسهم على احد الامرين اما فوت
الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق
نفيس واما الشوق الذى ضعف قلبه ورق عزمه لا يكاد ينقطع
القلب عن علاقته من نفقته وماله فهو من بيته الى دكانه طول عمره لا يصل
الى مرتبه شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين فان نال فى
سوقه دنگا على بضاعته درهما فذلك له كثير وذلك لتعلق قلبه
بشئ معلوم فهذا فى الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فرأس مالهم هذه الخصلة
التى هى التوكل وقطع القلب عن العلائق فلما احكموها وحصلوا حقها تفرغوا
للعبادة لله وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة فى الارض واقتحام
الفيافى واستيطان الجبال والشعاب اقويا العباد ورجال الدين
واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤن
ويقصدون الامور العظام علماً وعبادة كما يشاؤن لا عايق لهم ولا حاجز
دونهم فكل الاماكن لهم واحد وكل الازمان عندهم واحد والى الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله
ومن سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره ان
يكون اغنى الناس فليكن بما فى يد الله اوثق منه بما فى يده وعن سليمن
الخواص قال لو ان رجلا يتوكل على الله بصدق النية لاحتاج اليه الامراء ومن

فصار و ا

دونهم فكيف يحتاج ومولاه الغنى الحميد وعن ابرهيم الخواص قال لقيت
غلاما فى التيه كانه سبيكة فضة فقال قلت يا غلام الى اين قال الى
مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذى يقدر على
حفظ السموات والارض يقدر على ان يوصلنى الى مكة بلا زاد ولا راحلة
فلما دخلت مكة اذا هو فى الطواف يقول يا نفس سيحى ابدا ولا تحبى
احدا الا الجليل الصمد يا نفس موتى كمدا فلما رانى قال يا شيخ انت بعد
على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغنى انك تقطع المفاوز
بالتوكل بغير زاد قال حاتم زادى اربعة اشياء قال ما هى قال
ارى الدنيا والاخرة مملكة الله وارى الخلق كلهم عبيد الله وارى قضاء الله
نافذا فى حلقة فى جميع ارض الله ولقد صدق من قال وارى الارزاق والاسباب كلها بيد الله
ارى الزهاد فى روح وراحة قلوبهم من الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض شيمتهم سماحة الروح والريحان
واما الامر الثانى الذى اقتضى التوكل على الله تعالى فى هذا الشأن الذى له فى تركه
الخطر العظيم والاثم الكبير فلأن الله تعالى قرن الرزق بالخلق فقال
تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله تعالى لا من غيره كالخلق
ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال تعالى ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف بالوعد
حتى ضمن فقال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف بالضمان

حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون ثم لم يكتف
بذلك كله حتى امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي
لا يموت وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى
وتوكل على العزيز الرحيم فمن لم يعتبر قوله ولم يكتف بوعده ولم يطمئن
بضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون
حاله وانتبه اي محنة نحن من هذا وهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها
في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق المصدق الامين صلى الله عليه
لابن عمر كيف انت اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين ٥
وعن الحسن لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه فقالت الملائكة
عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض انه لحق هلكت بنو ادم اغضبوا
الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم ٥ وعن اويس القرني رضي الله عنه لو عبدت
الله عبادة اهل السماء والارض لا يقبل الله منك حتى تصدقه قيل وكيف تصدقه
قال تكون آمنا مما تكفل الله من امر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته
ولقد قال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اقيم فاومى
بيده الى الشام فقلت كيف المعيشة بها قال اف لهذه القلوب لقد خالطها
الشك فما ينفعها الموعظة ٥ وبلغنا ان نباشا تاب على يدي ابي يزيد البسطامي
فسأله ابو يزيد عن حاله قال نبشت عن الف قبر فلم ار وجوههم الى القبلة

الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة
وذكر بعض اصحابنا انه راى رجلا من اهل الصلاح فسأله عن حاله فقال هل سلمت
بايمانك قال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسأل الله ان يصلحنا بفضله ولا يؤاخذنا بما
نحن اهله انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل
وحكمه وما يلزم العبد منه في امر الرزق فاعلم انه انما يتبين لك هذا باربعة
فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده وحكمه فاما اللفظ فانما هو
توكل هي تفعل من الوكالة فالمتوكل على الله هو ان يتخذه بمنزلة الوكيل القائم
بامره الضامن لاصلاحه الكافي له من غير تكلف او اهتمام فهذه جملته
واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم يطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع
القسمة وهو الثقة بالله بانه لا يفوتك ما قسم الله لك فان حكمه لا يتبدل وهذا
واجب بالسمع والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله
تعالى اذا نصرته وجاهدت قال سبحانه فاذا عزمت فتوكل على الله
وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقال وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وهذا واجب بالوعد ٥ والثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله
متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته وتمكن به من عبادته قال الله تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين صلى الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا

وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والسمع جميعا وهذا هو الاشهر الاغلب منه
اعنى التوكل في موضع الرزق وهو المقصود في هذا الفصل فموضع التوكل
اذن هو الرزق وهو الرزق المضمون فيما قال العلماء بالله تعالى وانما يتضح
لك هذا بان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة اقسام مضمون ومقسوم
ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به قوام البنية دون ساير
الاسباب فالضمان من الله لهذا النوع والتوكل يجب بازايه بدليل العقل والشرع
لان الله كلفنا خدمته وطاعته بابداننا فضمن ما يسد الخلل للبنية لنقوم بما
كلفنا ٥ وقال بعض مشايخ الكرامية كلاما استحسنه على اصله ان ضمان
ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلثة اشياء احدها انه سيد
ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبد كما ان على العبد خدمة
السيد والثانى انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى
طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه في مكانه
وفى وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله اليهم ٥
والثالث ان كلفهم الخدمة وطلب الرزق عنها شاغل فوجب ان يكفيهم المؤنة
ليتفرغوا للخدمة وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية والقايل بان
الله عز وجل عليه واجب تايه وقد اوضحنا في الكلام ولنرجع الى المقصود
من غرضنا ٥ واما الرزق المقسوم فهو ما قسم الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ

مايا كله ويشربه ويلبسه كل واحد لمن او مؤجل موقت لا يزيد ولا ينقص
ولا يتقدم ولا يتاخر عما كتب بعينه قال النبى عليه السلم الرزق
مقسوم مفروغ عنه ليس تقوى تقى بزايدة ولا فجور فاجر بناقصه
واما المملوك فهو ما يملك كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر
الله تعالى وقسم له ان يملك وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى
انفقوا مما رزقناكم اى ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله المؤمنين من عباده
بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل
انما يجب بازاء المضمون منها فاعلم ذلك واما حد التوكل فقد قال
حد التوكل
بعض شيوخنا انه اتكال القلب الى الله بالانقطاع اليه والاياس
عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب مع الله لموضع المصلحة بترك
تعليقه على شئ دونه وقال الشيخ ابو عمرو التوكل ترك التعليق والتعليق
ذكر قوام بنيتك بشئ دون الله وقال شيخى الامام التوكل والتعليق
ذكران فالتوكل هو ذكر قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق
ذكر قوام عن دون الله سبحانه والاقاويل عندى ترجع الى اصل واحد
وهو ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما
هو من الله تعالى لا باحد دون الله ولا بالحطام من الاشيا ولا بسبب من الاسباب

ثم الله تعالى ان شاء سبب لكل مخلوقا او حطاما وان شاء كفى بقدرته دون
الاسباب والوسايط فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه
فانقطع القلب عن الخلايق ولا شعاب همه الى الله فقد حصل التوكل
حقه فهذا حسن واما حصن التوكل الباعث فهو ذكر الضمان ٥
لله تعالى وحسن حفظه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته ٥ وحسن حفظه وذكر ال
ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا طلب العبد على
هذه الاذكار بعثته على التوكل على الله تعالى في امر الرزق فان
قيل فهل يلزم العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق المعلوم بجلال ال
والمضمون الذي هو الغذاء والقوام لا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله تعالى فضل ال
بالعبد كالحياة والموت لا يقوى العبد على تحصيله ولا دفعه واما فلا او
المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد
الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى واما قوله تعالى وابتغوا وفي ضمان الله تعالى
من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل هو رخصة اذ هو امر
وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل
لكن لهذا الرزق المضمون اسباب فهل يلزمنا طلب السبب قيل
له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله تعالى يفعل بسبب وغير
سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله عز وجل ضمن لكل ظانا

مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ثم كيف يصح ان يأمر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه
اذ لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي يتناوله لا غير والذي يصير سبب
غذائه وتربيته لا غير فالواجب علينا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين
يحصل له فلا يصح تكليفه فتأمل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء عليهم السلام
والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة والاجماع
حاصل انهم لم يكونوا تاركين لامر الله ولا عاصين له في ذلك فتحقق ان طلب
الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت فهل يزيد الرزق بالطلب
وهل ينقص بترك الطلب فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت
ولا تبديل لحكم الله عز وجل ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا
خلاف ما ذهب اليه بعض الصالحين كحاتم وشقيق رحمهما الله فانهم قالوا ان الرزق
لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان
الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله
تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولو كان بالطلب يزيد
وبالترك ينقص لكان للفرح والاسى موضع اذ هو قصر وتوان حتى فاته
او جد وشمر حتى حصله وقال صلى الله عليه وسلم للسايل هكذا لو لم
تأتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب ايضا في اللوح المحفوظ ثم يلزمنا

طلب الثواب وترك موجب العقاب فهل يوثر بالطلب وينقص بالترك
فاعلم ان طلب الثواب انما وجب من حيث ان الله تعالى امر به امرا حتما
مطاعا واوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل منا فزيادة الثواب
والعقاب بفعل العبد والرزق بينهما في نكته وهي ما قاله بعض علمائنا
ان المكتوب في اللوح قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق
بفعل العبد وهو الارزاق والآجال الا ترى كيف ذكرهما الله تعالى مطلقا
غير مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وقال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
وقال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اربعة قد فرغ منهن الخلق
والخلق والرزق والاجل ٥ وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل
العبد وهو الثواب والعقاب الا ترى كيف ذكرها الله تعالى في كتابه
معلقا بفعل العبد قال تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم
ولادخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلم فان قيل نحن نجد الطالبين يجدون
الارزاق والاحوال والتاركين يعدمون ويفتقرون قيل له كانك لا تجد مع
ذلك طالبا محروما فقيرا وتاركا فارغا مرزوقا غنيا بلى ان هذا هو الاكثر
ليعلم ان ذلك هو تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم
وانشد ابو بكر محمد بن سابق الصقلي الواعظ بالشام

وكم قوي قوي في تقلبه مهذب الراي عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف في تقلبه كانه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على ان الاله له في الخلق سر خفي ليس ينكشف

فان قلت فهل ندخل البادية بلا زاد فاعلم ان كان لك قوة القلب بالله
والثقة البالغة بوعده سبحانه فادخل والا فكن كالعوام بعلائقهم وقد سمعت
الامام ابا المعالي الجويني رحمه الله يقول من جرى مع الله عز وجل على عادة
الناس جرى الله معه على ما هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا كلام حسن جدا
وفيه فوائد لمن تاملها فان قلت اليس الله تعالى وتقدس يقول وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد الآخرة ولذلك
قال فان خير الزاد التقوى ولم يقل طعام الدنيا واسبابها والثاني انه
كان قوم لا ياخذون الزاد في طريق الحج اتكالا على الناس ويسالون ويلحون لانفسهم
ويوذون الناس فامروا بالزاد امرا وتنبيها على ان اخذ الزاد من مالك خير من
اخذ مال الناس والاتكال عليهم وكذلك يقول فان قلت فالمتوكل
هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يعلق القلب به بانه لا محالة
رزقه وفيه قوامه انما يعلق القلب بالله سبحانه وتعالى ويتوكل عليه ويقول
ان الرزق مقسوم مفروغ عنه والله تعالى ان شاء امام بقي بهذا او بغيره
وربما يحمل بنية اخرى بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد

وتركه انما الشان في القلب ان لا تعلق قلبك الا بوعد الله تعالى وحسن كفايته
وضمانه فكم من حامل للزاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك للزاد
وقلبه مع الزاد دون الله تعالى فالشان اذن في القلب فافهم هذه الاصول
تكفك المؤنة ان شاء الله تعالى فان قيل والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل
الزاد وكذلك الصحابة والسلف رضي الله عنهم تعالى لهم فلا جرم ان ذلك مباح
غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه فافهم
ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى وتوكل على
الحي الذي لا يموت اعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام وشراب او درهم او دينار
كلا وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى وتوكل عليه كما امره
فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح خزائن الارض كلها
وانما كان اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات الخير لا الميل قلوبهم عن الله
الى الزاد والمعتبر القصد على ما اعلمناك فانتبه من رقدتك فان قلت ايهما
افضل اخذ الزاد ام تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الحال ان كان معذورا
بريد ان اخذ الزاد مباح او نوى به عون مسلم او اعانته ملهوف ونحو ذلك
فالاخذ افضل وان كان منفردا اقوى القلب بالله تعالى فيشغله الزاد عن
عبادة الله تعالى سبحانه فالترك افضل فتفهم هذه الجملة وتحفظ واشدد واحفظ
تعلو بالله التوفيق العارض الثاني الاخطار والمخافات واراد انقاد الكبار

وقصدها وانما كفايتها بالتفويض فعليك بتفويض الامر كله الى الله تعالى وذلك
لامرين احدهما لطمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت خطيرة مبهمة لا يدرك
صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب قائم النفس لا تدري يقع في فساد
او صلاح فاذا فوضت الامر الى الله تعالى علمت انك لا يقع الا في صلاح وخير فيكون
امنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن القلب في الحال وهذه الطمانينة والامن
والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا يقول كثيرا في مجالسته دع التدبير
الى من خلقك تسترح وقد انشد ذلك . شعر
ان من كان ليس يدري اي المحبوب خير له او المكروه
لحري بان يفوض ما يعجز عنه الى الذي يكفيه
الاله البر الذي هو بالرافة احنى له من امه وابيه
والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال وذلك لان الامور والعواقب
مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من نفع في حلية ضر وكم سم في حلية شهد وانت
الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا اردت الامور قطعا فربما اخترت كل متحكما
فاسرع ما يقع في هلاك وانت لا تشعر ولقد حكي ان بعض العباد كان يسال الله
تعالى ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية فابى الا ذلك فاظهره الله له فلما
رآه العابد قصد بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك
وعاقبتك فاغتر بقوله وقال نعم انا عمري بعد فافعل ما اريد

في باب النية والامل والثاني خطر الفساد فان استعقب الصلاح فذلك وهذا الذي
يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلف عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم ان الخطر في الفعل
هو ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر
فيها اذ لا يمكن وجود الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعهما ذنب فاذن يصح ارادة الايمان
والاستقامة بالحكم وقال الاستاذ الخطر في الفعل ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون
الاشتغال بالعوارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع في المباحات والسنن
والفرائض الا ترى ان من يضيق عليه وقت الصلوة وقصد اداءها فعرض له حريق
او غريق يمكنه الاشتغال بانقاذه كان اولى من الاقبال على صلوته فلا يصح اذن
ارادة المباحات والنوافل وكثير من الفرائض بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفرض
الله تعالى على عبده شيئا ويرغبه عليه ثم لا يكون لصلاح في فعله فاعلم ان شيئا قال
ان الله سبحانه لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه
فاما اذا عرض حادث لا يعدل به عن ذلك الا وفيه لصلاح وانه ربما سبب الله له عذرا
لا جله يكون العدول عن احد المامورين اولى من الاشتغال بالآخر كما ذكرنا فيكون العبد
في ذلك معذورا بل ماجورا لا بترك هذا الفرض بل بفعل الذي هو اولى ولقد سمعت
الامام يقول ان الذي افرض الله سبحانه على عباده من الصلوة والحج والصوم وغير
فيها صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم قال فاتفق رأينا على ذلك وبعث
المباحات والنوافل اذن في هذا الحكم واعلم ان ذلك والله اعلم غرامض الباب وبالله التوفيق

فان قيل هل يامن المفوض الهلاك والفساد والكدر او نحوه فاعلم ان في الاغلب
لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح وذلك لعارض له
فيخرج عن منزلة التفويض ويقال الشيخ ابو عمرو وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه
صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه ثم والخذلان والقصور عن منزلة التفويض
مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساد ذلك والتفويض انما يقع في ما يشكل في
فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا اذ لولا ذلك لما فوت
الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل
فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى فلا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد
الاصلح دون الافضل حكمة من فعله الا ترى انه قدر للنبي صلى الله عليه وسلم والاصحاب
ان ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار حتى فاتهم صلوة الليل
وصلوة الفجر والصلوة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والتغدي في الدنيا
وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله
تعالى افضل فانه بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح
يختار للمريض ما يشتهيه وان كان ما ليس افضل له والنفس ولكن لما علم ان صلاح
علته في ما يشتهيه والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الافضل والشرف مع
الفساد والهلاك فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح
عند علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه ذلك لان المعنى عنده اذا

ثم اتوب فتوقع في الفسق وترك العبادة وهلكت فمن هذا ما ينبهك على ترك الحكم في ارادتك
واللجاج في مطلوباتك وتحذر كل طول الامل فانه الآفة العظيمة ولقد صدق
القائل شعر وايال المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية واما اذا فوضت الامر الى
الله تعالى وسالته ان يختار لك ما هو صلاحك لم يكن الا الخير والسداد ولا يقع
الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى
الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا الاية كيف اعقب تفويضه
الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فتامل موفقا فان قلت
بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين بهما يتضح الكلام احدهما موضع
التفويض والثاني معناه وحكمه وصفته اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة اقسام مراد
يعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال كالكفر
والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد تعلم قطعا انه خير
كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فسبيلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ الحظ
فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد لا تعلم يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا
وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس لك ان تريدها قطعا
بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قدرت ارادتك بالاستثنا فهو تفويض وان
اردت دون الاستثنا فهو طمع مذموم منهي عنه موضع التفويض اذ كل مراد فيه
الخطر وهو ان لا تستيقن صلاحك فيه واما معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك

الا يا نفس ان ترضى بقوت
فكوني حرة ابدا عزيزة

اصله ح

اختيار ما ينخاطر الى المختار المدبر العالم بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السجزي
هو ترك اختيار كل المخاطر على المختار ليختار لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمرو
هو ترك الطمع والطمع ارادة الشيء للمخاطر بالحكم فهذه عبارات المشايخ والذي نقوله
ان التفويض ارادة ان يحفظ عليك مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع
والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما في معنى الرجاء تريد شيئا لا خطر فيه او مخاطر
بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال تعالى والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقال انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس
مما نحن فيه بسبيل ههنا والثاني طمع مذموم قال النبي عليه السلم اياكم والطمع فانه فقر
حاضر وقيل هلاك الدين وفساده والطمع وملاكه الورع وقال شيخنا الطمع
المذموم شان سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة الشيء مخاطر بالحكم
وهو الارادة يقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حكم التفويض فهو ذكر خطر
الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحسن حصة ذكر عجزك عن الاعتصام عن
الخلل والامتناع عن الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك والمواظبة على هذين الذكرين
يحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها
الا بشرط الخير والصلاح فتدبر هذه وبالله التوفيق فان قيل وما الخطر الذي
يوصف التفويض لاجله في الامور فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك بما انه
يكون او لا يكون وانك تصل اليه او لا تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثنا ويقع في

بالاستثناء د

اذا كان الصلاح في المفضول والافضل معلوم فلم يدبر لله ان يسبب له
الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اجعل دوائي ماء السكر دون ماء
الشعير اي اذا كان لي صلاح في [illegible] فيحصل لي الفضل والصلاح جميعا فكذلك
دوا العبد اذا سال الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك
فيجتمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله له الصلاح في
غير الافضل ان يكون راضيا بذلك قال فيقال فاذا كان للعبد ان يختار
الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف
الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد بالحكم ثم حتى
لحسبانه الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار
له ذلك ويقدره لا لان للعبد تحكما في شيء من ذلك فاعلم ذلك جملة من ذكر
هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه
يلاطم بحار علوم المكاشفة اي اقتصرت على النكتة المقنعة في هذا الكتاب
وقصدت للايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتديون ان شاء الله تعالى العارض
الثالث القضاء وورود انواعه وانما كفايته بالرضا فعليك
ان ترضى بقضاء الله سبحانه وذلك لامرين احدهما التفرغ للعبادة لانك
اذا لم ترض بالقضاء تكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لما ذا كان كذا
ولم لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف يتفرغ للعبادة

كليهما

العارض الثالث

اذ ليس لكل الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان من امر الدنيا وما
يكون فيها فاي موضع يبقى فيه لذكر العبادة وفكر الاخرة ولقد صدق شقيق رحمه الله
ان حزن الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهب ببركة ساعتك هذه و
الثاني من الامرين خطرها في السخط من غضب الله تعالى ولقد روينا
في الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى بعض ما نالوه من المكروه الى الله فاوحى
الله اليه اتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا بدء شانك
في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل
اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب
دون ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى
لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالي قلت فليسمع العاقل
هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه واصفيائه فكيف مع
غيرهم ثم استمع يقول لمن تلجلج هذا في صدرك من اخرى فهذا في حركة
النفس وتردد القلب فكيف لمن يصرح ويستغيث ويشكوا وينادي
بالويل والصراخ من ربه الكريم المحسن على رؤس الخلائق ويتخذ له اعوانا
واصحابا لهذا لمن سخط مرة فكيف لمن هو في السخط على الله تعالى جميع عمره
وهذا لمن شكا اليه فكيف لمن هو شكا الى غيره نعوذ بالله من غرور انفسنا
وسيئات اعمالنا ونسال الله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء ادبنا وصلحنا

التلجلج التردد في الكلام وفي الصدر [illegible]

بحسن نظره انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى الرضا بالقضاء
وحقيقته وذلك وحكمه فاعلم ان علماءنا قالوا الرضا ترك السخط و
السخط ذكر غير الذكر فيما قضى الله سبحانه بانه اولى به واصلح له فيما لا
يستيقن فساده وصلاحه هذا شرطه فيه فاعلم ذلك فان قلت
أليس الشرور المعاصي بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد بالشرور يلزمه
ذلك فاعلم ان الرضا انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر
هو المقضي فلا يكون الرضا بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله
المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا
بها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انها نعمة
والشدة يجب فيها الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه
الصبر من حيث انه شدة والخير يجب الرضا فيه بالقضاء والقاضي والمقضي
ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير ووفقه له والشر يجب عليه
فيه الرضا بالقضاء والقاضي والمقضي من حيث انه مقضي لا من
حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة
هذا كما انك ترضى مذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون
مذهبا لك لكونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا بالحقيقة انما يكون بالحقيقة
للعلم لا لمذهب المخالف لا للمذهب فكذلك المقضي بالسوية فان قلت

الواضح هل يكون مستزيدا قيل لك نعم بشرط الخير والصلاح دون
الحكم ولا يخرجه ذلك عن الرضا بل يدل على الرضا فهو اولى لان
من احب شيئا ورضي ذكر استزاد منه وكان صلى الله عليه وسلم اذا
حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول
وزدنا خيرا منه وفي موضع من الموضعين ما يدل على انه عليه السلام
بالقدر الله من ذلك فان قلت فلم ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم
الاستثناء شرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما يكون بالقلب
وانما اللسان عبارة عن ذلك فلا يعتبر بترك عبارة مع حصوله بالقلب
واعلم ذلك العارض الرابع الشدائد والمصائب وانما كان
بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول
الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى امر العبادة كله
على الصبر وتحمل المشقة فمن لم يكن صبورا لم [illegible] التي هي مقصودها بحقيقة
و[illegible] ذلك ان من حصل عبادة الله سبحانه وتجرد لها جملة انصبت
الشدائد والمحن والمصائب من وجوه احدها انه لا عبادة
الا وفي نفسها مشقة ولذلك كان الترغيب فيه والوعد الطوال
عليه اذ لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى ورحض النفس اذ
هي زاجرة عن الخير والرشد ومخالفة الهوى وقهر النفس

العارض الرابع

بتمامه

يصل

ظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى قيل
لا يأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي
الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلج ومنها
التقدم على الناس والامامة قال الله سبحانه وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا ومنها الثناء لله قال سبحانه انا وجدناه صابرا
نعم العبد ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين
الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ومنها المحبة من الله
قال تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى في
الجنة قال تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها
الكرامة العظيمة قال تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب
بلا غاية ولا نهاية خارج عن اوهام الخلق وعدهم وحسابهم قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب سبحانه من سيد ما اعطاها
اكرمه وكل هذه الكرامات في الاخرة والدنيا نعطيها لعبد على
صبر ساعة فبان لك ان خير الدنيا والاخرة كله في
الصبر قال صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء خيرا
اوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جميع خير المؤمن في
صبر ساعة والحال ولعل احسن الغايات حسن قول الصبر

مفتاح الفرج وكل خير يكون اصبر وان طالب الليالي مرها
الى ان المحزون وتامل ما صطبار ما ينال منتهاه لا يكون
ولبعضهم نقول صدرت وكان الصبر مني سجيته وحسبك
ان الله اثنى على الصبر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل
المجهود فيها لتكون من الصابرين والله سبحانه ولي التوفيق فان
قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم ان لفظ الصبر في
موضوع اللغة الحبس قال سبحانه واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم اي احبس نفسك معهم فاما وصف الله سبحانه
بالصبر فمعنى حبسه العذاب على المجرمين فلا يعجلهم به والمعنى
الذي يدعى مساعي القلب يسمى صبرا لانه حبس النفس عن الجزع
والجزع فلما قال العلماء ذكر اضطراب في الشكوى وقيل بل
اراد الخروج عن الشكوى بالحكم والصبر تركه و
ذكر معه الشكوى ورفعها وانما لا ازيد ولا انقص ولا اقدم
ولا اتاخر ولا قابل في الحرج ما به الضرر والخطر و
حسن هذا الحصن ذكر حسن عوض الله وكرم الاحسان في
ذلك الذي جملة هذه وبالله التوفيق فصل
فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة

حصن الصبر

من اشد الامور على الانسان وثانيهما ان الحسد اذا فعل الحذر مع
المشقة لزمه الاجتناب طلبته حتى لا يفسد عليه والابقاء على العمل
اشد من العمل والثالث ان الدار دار محنة فمن كان فيها
فلا بد من الابتلاء بشدائدها ومصائبها وذلك على اقسام الصبر
في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد و
الفراق وفي النفس بانواع الامراض والاوجاع وفي العرض
بقتال الناس اياه والطعن فيه والازدراء به والغيبة والكذب
عليه وفي المال بالذهاب والزوال وكل واحد من هذه المصائب
لوعته وحرقته من نوع غير النوع الاخر فيحتاج الى الصبر عليها
كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ للعبادة والرابع
ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ومن كان الى الله تعالى
اقرب فالمصائب لديه اكثر والبلاء عليه اشد لما سمع
من رسول الله صلى الله عليه اشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم الامثل فالامثل
فاذن من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة استقبلته هذه
المحن فان لم يصبر عليها ... بحيث لا يليق الا ان انقطع
للطريق او يستحيل عن العبادة فلا بد من ذلك ولقد اعلمنا الله
بالتقاء المحن والمصائب وابتلائه ايانا في ذكره واكرم فقال تعالى



لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا الى قوله تعالى وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ولكن يعوذ
ونطقوا ايضا على انه لا يدرك من انواع الثواب الا بالصبر ... الرجال
وعن الملك عن امام الرجال فاذن من عزم على عبادة الله تعالى اولا
ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة
المؤدية الى الموت والا فعند فساد الامر يعجز الله واناه من عزمته
ولقد ذكر عن الفضيل انه قال من عزم على قطع طريق الاخرة
فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود
والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود احتمال اذى الناس والاحمر
مخالفة الشيطان والاخضر المرقع بعضها على بعض والثاني من الامرين
فاني الصبر من خير الدنيا والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا معناه من يتق الله بالصبر
يجعل له مخرجا من الشدائد ومنها الظفر بالاعداء قال
الله تعالى ان تصبروا ان العاقبة للتقوى ومنها الظفر بالمراد قال
الله سبحانه وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا
وقيل كتب يوسف الى صاحب يعقوب ان اباك صبروا

مع دنيا ما عمرت دنيا ... ولا ما ترجع
مطوي لعبد الله رب وجاد بدنياه لما يتوقع
وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس له الشيطان
بانك متجرد وحده بادية الاعراف فيها ولا ناس تعرض على نفسه بان
تمضي على تجرده وان تسترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس
ولا تاكل شيئا حتى يجعل في فمه السمن والعسل فعدل عن
الشارع ومر على وجهه قال فسرت ما شاء الله واذا بقافلة
قد ضلت الطريق وهم يسيرون فلما ابصرتهم انكببت بنفسي
على الارض لكيلا يرونني فيسرهم الله تعالى حتى وقفوا
على فغمضت عيني فدنوا مني فقالوا هذا منقطع عن عليه ...
والعطش فسالوا السمن والعسل وقالوا اجعله في فمه ...
... فاتوا بسكين لعالجوا فمي حتى يفتحوا فضحكت وفتحت
فاتيته فلما راوا ذلك قالوا اتحسبون انت ملك فلا والحمد لله الذي
واخبرني بعض الحاضرين لي مع الشيطان وعن بعض مشايخ ...
قال نزلت في بعض اسفاري مسجد الامام ...
وكنت متجردا على عادتي ... فوسوس لي الشيطان بان
هذا المسجد بعيد عن الناس لو صرفت للمسجد الى الناس

... ان اهله وقاموا يتكفلونك فقلت لا ابيت الا مهنا وعلى عهد الله ان لا اكل
شيئا الا اكلوا ولا اكل حتى يوضع في فمي لقمة لقمة فصليت العتمة واغلقت
الباب فلما مضى صدر من الليل اذا انا بانسان يدق الباب وهو
سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوز معها شاب وولد
... طبق فيه ... طعام الحسن فقالت هذا الباب
ولذلك صحبت له هذا الخبيص ... كلاهم خلق لانا كل شيء
ياكل معه ... وقالت هذا الغريب الذي في المسجد فكل ...
واحدث جمع في فمي لقمة لقمة ولها انصرفوا ...
مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم للشيطان فان لك في ذكر فوائد
ثلث احدها ان يعلم ان الرزق لا يفوت من قدر له بحال و
الثانية ان يعلم ان لعبد الرزق والتوكل لهم حدا وليس للشيطان
فيه غواية ووساوس عظيمة حتى ليس مثل اولئك الائمة
الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم يامن عليهم الشيطان مع طول
تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي سمعت لهم حتى احتاجوا
الى ... للمناقضات ولعمري ليس من جاهد النفس والشيطان
... لا امان ان يوسوس المبتدئ في العبادة بل الحاذق
المجتهد ساعة في الرياضة ولو ظفر ... لفضحاه واهلكاه هلاكا



واراحه عليها ولا ملالة تلك تذكر مقصود كل من العبادات ونفكر فيها
فصلا عن ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها شيئا على احد
واجلاء ان اعظمها واعصلها امر الرزق والدين فانه البليه للكل
لعامة الخلق الحيف نفوسهم وشغل قلوبهم واكثر همومهم وغمومهم و
صيعت لمحاربهم واعظم تعبهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالى
وحدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا في الدنيا
في غفلة وظلمة وتعب وتعب ومهانة وذل وقدموا الاخرة
مفاليس ثم بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحمهم الله سبحانه
بفضله فانظر اية ابتلاء الشديد في ذلك وكم من ذكر من علم
مضمانه وقسمه على ذلك ولم يزل الانبياء والعلماء يعظون الناس و
ويبينون لهم الطرق ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال
ويخوفونهم بالله ثم هم مع ذلك لا يهتدون ولا يعقلون ولا يطمئنون
بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يتعوقوا
لو عشنا واصل ذلك كله قلة التدبر لايات الله وقلة التفكر في
صنائع الله سبحانه وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترك التامل لاقوال الصالحين مع الاسترسال لوساوس
الشياطين والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات

الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم وتبعت العادات في قلوبهم فتؤدي
بهم ذلك الى ضعف القلب وزهد الفعل واهمال الاحسان
الذين هم اولو الابصار وارباب الجد والاجتهاد ابصروا
طريق التقى فلم يعتمدوا اسباب الارض واعتصموا بحبل الله
فلم يتكلوا بعلائق الخلق ووثقوا بابا الله عز وجل واعرضوا
ظهورهم فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والخلق والنفس واذا
وسوس لهم شيطان او نفس او انسان بشر ماحوا بالمشاقة
والمدافعة والمخالفة حتى ولى الخلق عنهم وانعزل عنهم الشيطان
والعادات لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن
ابن ادهم ان ابراهيم بن ادهم لما اراد دخول البادية على تجريد
ذلك اتاه الشيطان يخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك
ولا سبب فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجريد ذلك ولن
لا اقطعها حتى اصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة ووفا
بما عزم عليه وبقي في البادية اثنتي عشرة سنة حتى ان الرشيد حج
في بعض تلك السنين فراه يحت ميل يصلي فقيل له هذا
ابراهيم بن ادهم يصلي فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا
اسحق فانشا ابراهيم يقول

الغافلين المغترين وفي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة
ان تعلم ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا
يجاهدون ولا يبالون وحاشاك بل كانوا اضعف ابدانا واضعف الكانا
واردف عطاءا منك ولكن كان لهم قوة العلم ونور اليقين وهمة الدين
حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحق تلك
العاملات فانظر لنفسك رحمك الله واياك وداولها من هذا الداء المفضل
لعلك تعلم ان شاء الله سبحانه ثم فصل ثم اعلم بعد
هذه الجملة انا نجد لك نكتا وجدناها بحيث تنكت في القلب اذا
تذكرتها وتكفيك مؤنة هذا الباب وتدعك على وضح من
الحق ان تاملتها وعملت بها والله سبحانه الموفق الاولى ان تعلم
ان الله ضمن الرزق لعباده في كتابه فقد ضمن رزقك
وتكفل لك به فما يعوق لو وعدك ملك من ملوك الدنيا انه
يضيفك الليلة وتعشيك وانت حسن الظن به انه صادق
ولا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك يهودي او ذمي
او نصراني او مجوسي عندك مستور الظاهر عفيف في معاملته
الست تثق بوعده وتطمئن اليه ولا تهتم بالعشاء في تلك
الليلة الا اتكالا عليه ما لك ووعده وعدك الله سبحانه وضمن لك رزقك

وتكفل به بل اقسم عليه في غير موضع وانت لا تطمئن الى وعده ولا تسكن
الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل تضطرب قلبك وتهتم
فيا لها من فضيحة لو رايت ويا لها من مصيبة لو علمت وعن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال

اتطلب رزق الله من عند غيره وتصبح من خوف العواقب امنا
وترضى بصراف وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

فلهذا المعنى يجر هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه
العاقبة بالله طلب المعرفة والدين ولهذا قال الله سبحانه وتعالى
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فحسبك للمؤمن المهتم لامر الدين هذه النكتة الواحدة ولا حول
ولا قوة الا بالله الثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم بشهادة
كتاب الله تعالى واخبار رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم
ان قسمه لا يتغير ولا يتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها
فذلك باب الكفر نقرعه نعوذ بالله منه واذا علمت انه لا يتغير
فانك فارع في الانام والطلب الا الذل والهوان في الدنيا
والشقاوة والحرمان في الاخرة قال صلى الله عليه وسلم
مكتوب على ظهر ... والتوكل رزق فلان ابن فلان

فلا يزداد الحريص الا حرمانا وفي ذلك يقول سبحانه الا قد رزقناكم
ان تضيعوه فلا تضيعوا غيركم فكل رزقكم ويجل بالعزة ولا تأكلوه بالذل وهذه
نكتة مفتحة للرجال العالية ما سمعت شيخي الامام يحكي عن الاستاذ
انه كان يقول ان ما تفعلون في امر الرزق اي تذكرون وقلت شعر
اليس هذا الرزق للمحول والعيش والبيت ما يصنع بالرزق واذا
كان حصول العبد في خزانة الله سبحانه وبيده فان كان العطية ونسبه
شاء تعقبتي غيب عني موكول الى الله يدبره كيف شاء فانا ساكن النفس
لذلك قلت نكتة لطيفة مقنعة لاهل التحقيق والرابعة
ان ما ذكرنا في هذا الفصل ان الله سبحانه قد ضمن رزق العبد وانه
الا الرزق الموعود الذي هو الغذاء والقوام وفيه القوام والحلق ولعا
الاسباب من الطعام والشراب فالجيب اذا تجرد العبد للعبادة وتوكل
على الله سبحانه فربما يحبس عنه الاسباب فلا يعباء بذلك ولا يضجر
لما علم من حقيقة الامر ان الضمان لقوام البنية والتوكل على
الله انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله هذا المعنى فان الله سبحانه
لا محالة يمده بالقوة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له
اجل وتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على
ما يشاء ان شاء اقام بنيته بطعام وشراب او بطين وتراب

وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء بغير هذا كله فليس
مطلوب العبد الا القوام والقوة للعبادة لا لاجل الاكل والشرب وشهوة التمتع
ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذن ولهذا المعنى قويت قلوب الزهاد
والعباد في الاستغراق وطي الليالي والايام فمنهم من لا يأكل عشرة ايام ومنهم
من لم يأكل شهرا او شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل فيجعله الله
تعالى غذاء له نحو ما ذكر عن سفيان الثوري انه نفدت نفقته بمكة فمكث
خمسة عشر يوما يستف الرمل وقال ابو معوية الاسود رأيت ابرهيم بن
ادهم يأكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال لي ابرهيم التيمي ما اكلت
منذ شهر قال ولا شهرين الا ان انسانا ناشدني على عنقود من عنب فاكلته
فانا اشتكي بطني قلت انا ولا تعجبن من ذلك فان الله سبحانه وتعالى القدرة قلت منذ شهر
على ما يشاء وهذا مريض تراه لا يأكل شهرا وهو حي يعيش والمريض على كل حال
اضعف نفسا وارق طبعا من القوي واما الذي يموت جوعا فذلك لاجل حصره الصحيح
كالذي يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني عن ابي سعيد الخراز انه قال
كان حالي مع الله سبحانه ان يطعمني في كل ثلثة ايام فدخلت البادية
فمضت علي ثلثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست
مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايما احب اليك سبب ام قوة قلت
٢٤٧ القوة فقمت من وقتي وقد استقللت فمضيت اثنى عشر يوما لم اطعم ولا وجدت

اهلا لذلك فاذا ما رأى العبد احتباس الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل
على الله سبحانه فليستيقن ان الله تعالى يمده بالقوة فلا يضجرن لذلك بل
حقه ان يشكر الله على ذلك شكرا كثيرا فان له المنة والصنع واللطف
اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود ودفع عنه
الثقل والواسطة وخرق له علائق العادة واراه طريق القدرة وان شبه حاله
بحال الملائكة ورفعه عن حالة البهائم والعامة في تلك الكرامة ما اجل هذا الامر
الكبير نعم الربح العظيم ان شاء الله قلت ايضا ولعلك ان تقول لم
اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمر الله انه لقليل في جنب
ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين
والدنيا والعبود يعز له مهمه في هذا الشان فليتمسك بذلك وليراعيه حقه
والا هو عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء الاخرة العارفين
بالله عز وجل انهم بنوا امرهم على التوكل على الله والتفرغ لعبادته وقطع
العلائق كلها فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية وقيض الله لهم اعوانا من التقييض تقدير كردن و سبب ساختن
السادة واصحابا تمشى لهم من الخير المحض ما لم يتمش لطائفة من طوائف الامة
من الزهاد الكرامية على اصول غير مستقيمة وما زلنا نعرف ما درسنا على
منهاج ائمتنا يخرج من معابدنا ومدارسنا كل خير اما امام في العلم
كالاستاذ ابي اسحق وابي حامد وابي الطيب وابن فورك وشيخنا الامام ابي
المعالي

ابي المعالي وامثالهم من السادة واما صديق في العبادة كابي اسحق
الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي وغيرهم رحمة الله
عليهم ممن فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا وتلطخنا
بشيء من العلائق التي ضررها اكثر من نفعها فتراجعت الامور وتقاعدت
الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد
عبادة او يحصل له علم وحقيقة وان اللمعة التي تحضرنا الان ليست ممن بقي على
منهاج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحرث المحاسبي ومحمد بن ادريس الشافعي ومزني
وحرملة وغيرهم رحمة الله عليهم من ائمة الدين رضي الله عنهم فهم كما قيل
فما صحبوا الايام الا تعففا وما وجدوا من حب سيدهم بدا
افاضل صديقون اهل ولاية الى سيد السادات قد حلوا القصدا
تحلل عقد الصبر من كل صابر وما حلت الايام من عقدهم عقدا
وكنا في الصدر الاول نعلو كافضرنا سوقة وكنا فرشا نافضنا رحالة الصدر
وليتنا لا نقطع عن الطريق بعد والله المستعان على المصائب والمسؤول ان
لا يسلبنا هذا الرمق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم واما التفويض فتامل فيه اصلين احدهما انك
تعلم ان الاختيار لا يحصل الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها
حالها وعاقبتها والا فلا يأمن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه الخير

والصلاح الا ترى انك لو قلت لقروي او بدوي عنيم انتقد لي هذه
الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي
غير صيرفي فربما يعترض ايضا فلا تأمن اذن الا ان تعرضها على الصيرفي
الخبير بالذهب والفضة وما فيهما من الخواص والاسرار وهذا العلم
المحيط بالامور من جميع هذه الوجوه لا يصلح الا لرب العالمين ولا ينبغي
اذا ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله سبحانه وحده لا شريك له ولذلك
يقول عز وعلا وربك يخلق ما يشا ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال
وربك يعلم الآية وحكي ان بعض الصالحين قيل له قال الله تعالى
سل تعط وكان موفقا فقال ان علما بجميع الوجوه يقول الجاهل من جميع
الوجوه سل تعط اني اعلم ماذا يصلح لي فاسله ولكن اخترت لي بهذه هذه
الاصل الثاني ما تقول لو ان رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر
ما تحتاج اليه من مصالحك ففوض امرك الي واشتغل انت بشانك الذي يعنيك
وهو عندك اعلم اهل زمانك واحكمهم واقواهم وانصحهم واتقاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغنم ذلك وتعده اعظم نعمه وتقدم له اوفر شكر واجل
ثناء ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تشق
وتطمئن الى تدبيره علما انه لا يختار لك الا ما هو الخير وما سطر لك الا الصلاح
كيف ما كان الامر بعدما وكلت الامر اليه وسلمت لك ذلك فما لك الآن

تفوض

تفوض الامور كلها الى الله تعالى رب العالمين وهو الذي يدبر الامر من
السماء الى الارض هو اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واغنى كل
غني لهان لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك
واشتغل انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار امرا لا تعلم وجه
سره رضيت بذلك واطمأننت اليه فكيف ما كان فهو الصلاح والخير فتامل
فيه اصلين مقنعين لمن يدعيهما احدهما ما في الرضا من الفائدة في الحال والمآل
اما الفائدة في الحال ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك قال
بعض الزهاد اذا كان القدر حقا فالهم فضلة واصلها الخبر المأثور عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ليقل همك ما قدر يكن وما لم
يقدر لم يأتك هذا هو الكلام الجامع النبوي النافع في قلة لفظه وكثرة فائدة
معناه واما الفائدة في المآل فثواب الله سبحانه ورضوانه لقوله تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه وما في التسخط من الهم والحزن والضجر في الحال ومن
الوزر والعقوبة في الآخرة بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك كما
قيل ما قد قضى يا نفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر
والعاقل لا يختار الهم بلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب
الجنة الاصل الثاني ان في التسخط من عظيم الخطر والكفر والنفاق الآن
ينازعه الله تعالى وتامل قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

محبوبة واحوال سعيدة محمودة وما تقول في الوالد المشفق الغني اذا منع ولده
العزيز رطبة او تفاحة يا كلها وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ السائس ويحبسه
و طول النهار يعنفه ويضجره ويحمله الى الحجام يحجمه فيوجعه ويقلقه اترى
منع ذلك من بخل فيه كيف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم اموالا بهذا الولد
كيف وهو يكبر له جميع ما في يده او قصد بذلك اتعابه وايذاه لبغض له كيف وهو
قرة عينه وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لعز عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه
في ذلك وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول في الطبيب الحاذق
الناصح المحب اذا منع المريض الدنف شربة ماء وهو ظمآن يشتاق لها او يسعفه
شربة اهليلج لن يقدر ان يجرع عن ذلك نفسه وطبعه اترى ان ذلك من معادات
وايذاء كلا بل نصح واحسان لما علم ان في اعطائه شهوته ما يعاود هلاكه في عطبه
زاد وفي منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فتأمل انما الرجل اذا حبس الله عنك رغدا
او درهما فتعلم يقينا انه ملك ما ترى يده ويقدر على ايصاله اليك وله الجود والفضل
ويعلم حالك فلا يخفى عليه شيء فلا عدم ولا عجز ولا خفا تعالى عن ذلك وتقدس
فانه اغنى الاغنيا واقدر القادرين واعلم العلما واجود الاجودين فتعلم اذن
بالحقيقة انه لا يفعل الا لصلاح واختيار كيف وهو يقول الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا كيف وهو الذي جاد عليكم بمعرفته وهي التي لا تساوي في جنبها الدنيا
باثرها وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا

كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة واذا ابتلاك بشدة فاعلم
يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف
رحيم اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده من الوالدة الشفيقة
بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لكن جهلته انت والله
عليم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعز
عباده حتى يقول صلى الله عليه اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل واذا رأيت الله يحبس عنك الدنيا ويكثر
عليك الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان عليّ وانه يسلك
بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك من صلاحك
ويكثر من اجرك وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة عنده فكم ترى من
عواقب حميدة ومواهب كريمة الله ولي التوفيق بمنه وفضله

فصل ومن الجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى هو المتولي بضمان
رزقك الذي لا بد لك منه في بقائك وقيامك بعبادته فانه القادر على ما يشاء
كيف يشاء وهو البصير بحاجتك الا في الا ساعة فساعة اتكلت على ضمانه الحق
ووعده الصدق وسكن قلبك بذلك ولم ترغب عن ذلك العلائق والاسباب و
وتعليق قلبك بها اذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله تعالى فانه تعالى

يلقهم الآية نفي الايمان فاقسم على من تسخط قضا الله سبحانه وروينا ان الله تعالى
يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر لنعمائي فليتخذ ربا سوائي
قيل كانه يقول هذا لا يرضانا ربا حين تسخط فليتخذ ربا آخر يرضاه وهذا
غاية التهديد والوعيد لمن غفل عن الله ولقد صدق بعض السلف لما قيل له ما
العبودية والربوبية فقال للرب ان يقضي وللعبد ان يرضى فاذا قضى الرب
ولم يرض العبد فما هناك ربوبية ولا عبودية فتامل هذا الاصل واطلب تفاصيله لعلك
تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر وشربه كريه يجلب كل
منفعة ويدفع عنك كل مضرة واذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان العاقل
يكره النفس على شربه وتجرعه ويعض على مرارته وحدته ويقول من ان شاء
وراحة سنة واما المنافع التي تجلبها الصبر فاعلم ان الصبر اربعة اقسام
صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب
فاذا احتمل الصبر ومرارته وصبر في هذه المواطن الاربعة يحصل له الطاعات
في مكانها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها
في الدنيا وتبعاتها في الآخرة ثم لا يبتلى بطلب الدنيا وما لها من الشغل في الحال
والتبعة في المآل ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به وذهب عنه فحصل اذن بسبب الصبر
الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد والعوض والثواب الجزيل
من الله وتفصيل ذلك امر لا يعلمه الا الله تعالى واما دفع المضار فبركته

فائدة

اولا من مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره وعقوبته في العقبى فاما
ان ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة ولحقته كل مضرة اذ لا
يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة ولا يصبر على حفظها فيحبطها او لا
يصبر على المواظبة عليها ولا يصل الى منزلة رفيعة فيها من درجات الاستقامة
او لا يصبر عن معصية فيقع فيها وعن فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبة
فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع فيفوت العوض بسبب ذلك فيكون مصيبتان
فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان الصبر ولقد قيل
حرمان الصبر اشد على من الصبر على المصيبة فاي فائدة في
شيء يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود ما احمدا انه اذا فاتك
احدهما فلا يفوتك الاخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا كرم
الله وجهه عزى رجلا فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور
وان جزعت جرت عليك المقادير وانت مازور ثم اقول تحمل الامرار
وقطع القلب عن العلايق المالوفة ومنع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل
المحض على الله تعالى وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله سبحانه من غير
علم بما هو الشر فيها وكبح النفس عن التسخط والجزع مع تنازع النفس اليه و
واكراهها على الجام الرضا وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك امر مر
وعلاج شديد وحمل ثقيل ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة

يُيسّر اكلها وشربها ثم هو الذي يُبرئهما ويُنسيهما ثم هو الذي يطعمك عوضهما ونفعهما
ويدفع عنك ثقلهما وضررهما وهو الله تعالى يغنيك ويكفيك دونهما اذا شاء
والامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غير وكذلك تترك التدبير
في امورك الا من يدبر السماء والارض وتروّح نفسك عن كل شيء لا يبلغه علمك
وجدك وبصرك من امر يكون غدا او لا يكون وانه كيف يكون وتكف عن لعل
ولو واذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله امور لم يخطر ببالك
فيكون ما سبق من فكرك وتدبيرك وجعل الوقت العزيز فيه لغوا بلا فائدة بل
خسرانا تندم عليه وتغبن فيه لما كان شغل القلب وتضييع العمر في ذلك وفي هذا
المعنى لبعض الزهاد شعر
سبقت مقادير الاله وحكمها فارح فؤادك من لعل ولو
وقال آخر
فلعل ما تخشاه ليس بكائن ولعل ما ترجوه ليس يكون
سيكون ما هو كائن في وقته وأخو الجهالة متعب محزون
وتقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا
ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته رحيم لا نهاية
لرحمته ومن كان بهذه الصفة فحقيق ان يتكل عليه وتفوض الامر كله اليه
فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضي الله سبحانه هو الاوفق
والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس المقدور
كائن لا محالة فلا فائدة في التسخط والحيرة فيما صنع الله تعالى فلا وجه

يكون صح

والهم فاضل صح

للتسخط

للتسخط البتة تقول لئن رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من
شأن الربوبية وحقها فعليك الرضا وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك
مكروه فتراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع ولا تظهر منه شكاية
ولا سيما عند الصدمة الاولى فان الشان هنالك والنفس متسارعة الى
عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع
الله سبحانه ما هو اكثر منها فان انواع البلاء في خزائنه كثيرة وان هذه
ستنقضي ولا تبقى وانه سحابة ستنقشع فتحلّي يا نفس قليلا تحمدي كثيرا وزادا
طويلا او ثوابا جزيلا لا بعد ان لا دفع للنازل ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة في
الحقيقة في العزاء مع الصبر فتشغل لسانك بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل
لك عند الله من الاجر وتذكر صبر اولي العزم على المصائب العظام من الانبياء
والاولياء الاعز على الله تعالى واذا حبس عند الرزق في وقت فتقول يا نفس هو
اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر
في عداوته ويحوج العبد العارف الموحد اساوى عنده رغيفا ايضا فاحمل الحقيقة
انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري فيا الا ترى
العجب من لطف صنعه اما سمعت القائل شعر
توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب
وقال آخر

حرام

على

اذا اشتدت بك العسرى ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا فكرته فافرح
فاذا الجزت هذه

الاذكار ونحوها وواظبت عليها بالتكرير والتمرين فان ذلك يهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد زمانا غير طويل ولقد دفعت هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مونتها وصرت عند الله من المتوكلين المفوضين الراضين بقضايه الصابرين على بلايه وحصلت لنفسك راحة القلب في البدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر في العقبى وجليل القدر والجنة عند رب العالمين فيجتمع لك خير الدارين وتستقيم لك طريق العبادة اذ لا عوايق ولا شاغل وكنت حينيذ قد قطعت هذه العقبة العسرة والله تعالى المسئول ان يمدكم واياي بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب الخامس في العقبة الخامسة

وهي عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق وسهل مسلك السبيل وان تعت العوايق وزالت العوارض ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجا والتزامهما جميعا على حدهما اما الخوف فانما يحب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه النفس الامارة بالسوء مايلة الى الشر طامحة الى الفتنة فلا تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بالغ وليس يحصل فطمها الا جرة

عنها

بعتبها الوفا ومنعها الجفا عن الجفاء المتمادي كما قال القايل العبد يقرع بالعصا والحر يكفيه الملامة او الاشارة والتدبير في امرهما ان تقرعهما ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا ومثلا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضا ويقول لنفسه ذوقي اشد حرا من هذه اي جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تقعدها بالعتب والذم والنقص بما فيها من الاسوا والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو اخذنا الله وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب احدا واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يومن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فاطبقت عليه باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين وتطمعين في الجنة هيهات هيهات ان للجنة قوما اخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه واشباهها مما يلزم العبد تذكيرها وللنفس تكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق واما الرجا فانما يلزمك استشعاره للبعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع مشاهد والثواب الذي يطلب عن العين غايب والوصول اليه فيما يحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس للخير ولا ترغب فيه

فتاهم يا ار

الامر بعد ما حم الاصل الرجا

حقه ولا يسر له الا بامر يقابل كل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجا القوي في رحمة الله سبحانه والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا الحزن يمنع عن الطعام والخوف يمنع عن الذنوب والرجا يقوي على الطاعة وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون عليك احتمال الشدايد والمشقات واعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طاب له شي ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى من مونته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته حتى انه يجد لذلك المحنة ضربا من اللذة الا ترى مشتار العسل لا يفكر في لسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل والاجير لا يعبا بارتقا السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصايف المديد لما يتذكر من اخذه تحمين بالعشي وان الفلاح لا يفكر في مقاساة الحر والبرد ومباشرة الشقا والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر اوان الغلة فكذلك يا اخي العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مقيلها وانواع نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وساير ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم ما يحملوه من تعب في عبادة لو ما يهم في الدنيا من لذة وبغيه ودلهم ونعمه او نالهم من حزن ومشقة ولقد يحكى ان اصحاب سفين الثوري رحمه الله كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورث حاله فقالوا يا استاد لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك ايضا ان شا الله قال سفين كيف لا اجتهد

وقد

وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضي له الجنات الثمانية فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب تعالى فيخروا ساجدين فينودوا ان ارفعوا روسكم ليس الذي يظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشا يقول ما ضر من كان الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بوس واقدار
تراه يمشي كئيبا خايفا وجلا الى المساجد يمشي بين اطمار
يا نفس ما لك من صبر على النار وقد حان ان تقبلي من بعد ادبار
قلت انا فاذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قايد يقودها والى سايق يسوقها واذا وقعت في مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمشي الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا فالخوف سوطها وسايقها والرجا شعيرها وقايدها وكانها كالصبي العرم تحمل الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب تخويفها وذكر الجنة والثواب ترجيتها وترغيبها فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة ان يشعر النفس بالامرين اللذين هما الرجا والخوف والا فلا تساعد النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد

نقيل من بعد ادبار

والترغيب والتهديد وابلغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا يصبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا يصبر عليه فعليك اذن بالتزام هذين المعنيين يحصل لك ما ذكرت من العبادة ويسهل عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قلت فما حقيقة الرجا والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجا عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر واما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا والخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه ولكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجراة ولكن قد يقابل بالامن فيقال خائف وآمن وخوف وامن لان الامر الذي يجتري على الله سبحانه والحقيقة ان الجراة تضاده ومقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا اليك بالمظالم وانت مرتهن بها لم يتبين لك الخلاص بعد والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شا وكيف شا واما الرجا فهو ارتياح القلب لمعرفة فضل الله تعالى واسترواحه الى سعة رحمة الله وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاه هو مقدور للعبد وهو تذكر فضل الله وسعة رحمته وقد يسمى ايضا ارادة الخاطر بالاستشعار رجا والمراد من هذا الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده الياس وهو تذكر فوات رحمة الله

وفضله

وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة وهذا الرجا فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن الياس الا به والا فهو نفل بعد اعتقاد الجملة في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات الرجا اربع ذكر سوابق فضله اليك من غير عمل قدمته او شفيع والثانية ذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاق منك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان اقل شي واصغر امر والثالثة ذكر كثرة نعمه عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق او سوال والرابعة ذكر سعة رحمة الله وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الروف بعباده المومنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجا بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله

فصل

فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية فانها عقبة دقيقة المسالك خطيرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجا والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب عليك الرجا حتى فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجا البتة وقعت في طريق الياس ولا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فان انت كنت بين الرجا والخوف واعتصمت بهما جميعا فهو الطريق

العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله سبحانه واصفيائه الذين وصفهم بقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الاية فان قلت فلك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق الامن والجراة وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف والرجا بينهما فان ملت عنه بقدم الى مسلك او بيار اذن وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان الطريقين الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر دواعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان نظرت من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة الله وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد يبقى معه رجا فتياس بمرة وتقنط فتحتاج اذن لا تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط وتياس بل تنظر الى هذا والى هذا جميعا فتاخذ من هذا بعضا ومن هذا بعضا فتركب بينهما طريقا دقيقا وتسلك ذلك لتسلم فان الطريق الرجا المحض سهل واسع عريض وعاقبته تؤديك الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته تؤديك الى الضلال والطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجا وان كان دقيقا عسرا فانه سبيل سالم ومنهج مبين تؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه اما تسمع قوله في ابناء هذا السبيل يدعون

ربهم

ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الاية فتامل هذه الجملة وتشمر وتنبه للامر فانه لا يجي بالهوينا والله الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسل على الخير باحتساب المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ لثلثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر اقواله تعالى في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجله صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان شا الله تعالى

الاصل الاول

في اقواله تدبر ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من ايات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن ايات الرجا قوله لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لروف رحيم وكان بالمومنين رحيما فهذه ونحوها ايات الرجا ومن ايات الخوف والسياسة قوله تعالى للعباد فاتقون افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

دعهم

وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية تسأل
الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجا
قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقبه وان عذابي
هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليه الرجا بمرة وقوله شديد العقاب
ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليه الخوف بمرة واعجب من
ذلك قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبه والله رؤف
بالعباد واعجب منه قوله سبحانه من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية
باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر
الرحمة ولا تكون الخشية تطير قلبك لمرة فيكون تخويفا في تأمين وتحريكا في
تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر
اما تحذر الامير الكريم والمراد بذلك ان يكون الطريق عدلا ولا يذهب الى
امن وقنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم برحمة العالمين

الاصل الثاني

بما فيه انه جواد كريم في ما يتعلق بمعاملاته
اما من جانب الخوف فاولا عبادة ابليس ثمانين الف سنة فلم يترك موضع قدم الا و
سجد لله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وصرف
بوجهه تعبد ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا عظيما
ابد الابدين حتى يروى ان الصادق الامين صلى الله عليه رأى جبرئيل متعلقا

باستار الكعبة وهو يصرخ الهي الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم آدم عليه السلم
صفيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى الجنان انبسط فاكل
اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي لا الا خاوز بي من عصاني وامر الملائكة
الذين حملوا سرير ان يخرجوه من مقام اتم اجتبى اوقعوه الى الارض ولم يقبل توبته
فيها روى حتى بكى على ذلك مائتين سنة ولحقه من الهوان والبلاء الجهد وبقيت
ذريته في تبعات ذلك الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلى الله عليه وعليهم اجمعين
الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ
نودي فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك الاية حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله ان يعاتبه ثم ان ابرهيم صلى الله عليه
كان خليل الرحمن ولم يكن منه الا هموم واحدة فلم خاف وتضرع وقال
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف
فيرسل الله سبحانه اليه الامين جبرئيل فيقول يا ابرهيم هل رأيت خليلا
يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرئيل اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلته
ثم موسى صلى الله عليه وسلم لم يكن منه الا لطمة واحدة عن حدة فلم خاف وكم
استغفر وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان
بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله واتل عليهم نبأ الذي اتيناه
اياتنا فانسلخ منها ولم يقل اية واحدة ما مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك

لولي من اوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب
المطرود وقال فمثله كمثل الكلب فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى الابد
حتى بلغ بعض العلماء يقول انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه
اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف
كتابا في ان ليس للعالم صانع وذكر فيه ما استحق به اللعن نعوذ بالله
من سخطه وعذابه الاليم وقطيع خذلانه الذي لا طاقة لنا به فانظر
خبث الدنيا وشومها ماذا يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير
والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واما لنا عنا ايمانا
فذلك على الله بعزيز ثم ان داود صلى الله عليه وسلم كان خليفته في ارضه
اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت العشب في الارض من دموعه وقال
الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجيب يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاك
فلم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين سنة ثم يونس صلى الله عليه غضب غضبة
واحدة في غير موضعها فحبسه في بطن الحوت تحت قعر البحار اربعين يوما
وهو ينادي ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وسمعت الملائكة
صوته فقالوا الهنا صوت معروف من موضع مجهول فقال تعالى ذلك عبدي
يونس فشفعت له الملائكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال وذا النون اذ
ذهب مغاضبا فلبسه لا يتخيه ثم قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم الى قوله

سعون ثم ذكر نعمه ومنته عليه فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه الاية
فانظر الى هذه السياسة ايها المشركين وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين اكرم
خلقه عليه بقوله له فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاية حتى كان عليه
السلم يقول شيبتني هود واخواتها فسئل عن هذه الاية واشكالها في القران
وقال تعالى واستغفر لذنبك الى ان من عليه بالغفران فقال ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه يقول لو ان
وعليا اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احد من العالمين وكان
يصلي بالليل ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة رضي الله عنهم الذين هم خير قرن
في خير امة كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم يأن للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم الاية ثم وضع في هذه الامة مع كونها مرحومة الحدود
والسياسات العظيمة حتى كان يونس بن عبيد يقول لا تأمن من قطع في خمسة
دراهم خير عضو منك ان يكون عذابه غدا هكذا نسأل الله تعالى الكريم الرحيم
ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم الراحمين واما جانب الرجا فحدث
عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها ويعرف عشر معشارها
فانه الذي بقي كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى امر سحرة فرعون الذين جاءوا لحربه
وحلفوا بعزة عدوه لما قالوا انا امنا بربنا عن صدق القلوب كيف قبلهم ووهب
لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في الجنة ابد الابدين فهذا مع
من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك السحر والكفر والضلال والفساد
فكيف حال من افنى عمره في توحيده لا ترى لذلك اهلا في الدارين غيره اما ترى
اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات
والارض والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال تعالى ونقلبهم ذات
اليمين وذات الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة والتبجيل والمهابة والحشمة حتى
يقول لاكرم الخلق عليه السلم لو اطلعت عليهم الاية بل كيف اكرم كلبا تبعهم
حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا محبوبا ويدخله
الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله مع كلب خطى خطوات مع قوم عرفوه
ووحدوه اياما معدودة من غير عبادة او خدمة فكيف فضله مع عبده
المؤمن الذي خدمه وعبده ووحده سبعين سنة ولو عاش سبعين الف سنة
كان قاصدا للعبودية اما سمعت كيف عاتب ابرهيم صلى الله عليه في دعايه
على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى صلى الله عليه وسلم في امر قارون
فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت
عنه وكيف عاتب يونس صلى الله عليه وسلم في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين وكيف

ابتهما في ساعة وايبستهما في ساعة ولا تحزن على الف او يزيدون ثم كيف قبل
عذرهم وصرف عذابه الاليم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين صلى
الله عليه فيما روى انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال لم
تضحكون لا اراكم حتى اذا كان عند الحجر الاسود رجع اليهم القهقرى وقال جائني تضحكون
جبريل صلى الله عليه فقال يا محمد ان الله يقول لك لا تقنط عبادي من رحمتي
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله ارحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي
صلى الله عليه ان لله تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن والانس
والبهايم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين ليرحم بها لنفسه
عباده يوم القيامة واذ قد اعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة
العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة
والجماعة الى سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فمرجو من فضله العميم
ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل من تسعة وتسعين
رحمة لك الحظ الوافر نسال الله تعالى ان لا يخيب آمالنا من فضله العظيم بفضله
انه السميع الكريم الجواد الرحيم

الاصل الثالث في ذكر

ما وعد واوعد في المعاد فلنذكر في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر
والقيامة والجنة والنار وما في كل مقام منهما من الخطر للمطيعين والعاصين

والمقصرين والمجتهدين اما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما
ما روى عن ابن شبرمة انه قال دخلت مع الشعبي على مريض نعوده
وهو لما به وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به
فتكلم المريض وقال ان يلقني او لم يلقني فاني لا ادعها ثم قرا والزمهم
كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي
نجى صاحبنا والاخر ما حكي ان تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل
عليه الفضيل وجلس عند راسه وقرا سورة يس فقال يا استاد لا تقرا
هذه فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني بري منها ومات على
ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم راى في
النوم وهو يسحب به الى جهنم فقال باي شي نزع الله المعرفة عنك وكنت
اعلم تلامذتي قال بثلثة اشيا اولها النميمة فاني قلت لاصحابي خلاف ما قلت
لك والثاني الحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى الطبيب
فسالته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة
فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين
اخرين احدهما ما حكي عن عبد الله بن المبارك انه لما احتضر نظر الى السما فضحك
وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمع امام الحرمين رحمه الله يحكي
عن الاستاذ ابي بكر قال كان لي صاحب ايام التعليم وكان مجتهدا كثير الجهد في

في التعلم تعبا متعبدا وكان لا يحصل له مع الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله
فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل الى بيت المرضى وكان يجتهد
مع مرضه فاشتد به الحال وانا اجانبه فبينما هو اذ شخص بصره الى السماء
ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون وتوفي عند ذلك رحمه الله
واما الاخر فنحو ما روي عن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على جار له احتضر
فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود عليهما فسالت اهله فقالوا
كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما مكيلان
بالاخر حتى كسرتهما ثم سالت الرجل فقال ما يزداد الامر علي الا عظما
واما القبر والحال بعد الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما ذكر عن
بعض الصالحين قال رايت سفيان الثوري في النوم بعد موته فقلت كيف
حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس هذا زمان الكنى فقلت كيف
حالك يا سفيان فانشا يقول

نظرت الى ربي عيانا وقال لي هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني عنك غير بعيد

واما الرجل الثاني ما ذكر عن بعضهم راى في المنام شاحب اللون مغلولة
يداه الى عنقه فقيل ما فعل الله بك فانشا يقول

توّلى زمان لعبنا به . وهذا زمانٌ بنا يلعبُ . وحال الحزن احدهما

ما روى عن بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم اره فى المنام الى

ليلة توفى فيها عمر بن عبد العزيز راءيته تلك الليلة فقلت له يا بنى الم تك ميتا

فقال لا ولكنى استشهدت وانا حى عند الله ارزق فقلت ما جاءبك فقال

نودى فى اهل السماء الا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز

فجئت لاشهد الصلوة ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الاخر فما روى عن هشام بن حسان

انه قال مات لى ابن حدث فراءيته فى النوم فاذا هو اشيب فقلت يا بنى ما هذا الشيب

قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا احد الا شاب منه

نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم واما القيامة فتامل قوله تعالى يوم

نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من

قبره فاذا البراق على بابه والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم

لا يخلى من عزه ان يمشى الى الجنة برجله واخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والاغلال

لا يخلون الشقى ليمشى الى النار برجله بل يسحب الى سواء الجحيم على وجهه نعوذ بالله من الى م

سخط الله ولقد سمعت بعض العلماء يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا

كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها اجنحة خضر يطير بهم

فى عرصات القيامة حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا راءتهم الملائكة قال بعضهم

لبعض من هولاء فيقولون ما ندرى لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون

من

من انتم ومن اى الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلى الله عليه فيقول الملائكة

هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون لا فيقولون هل قرأتم كتابكم

فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراءكم فيقولون هل اعطيتمونا

شيا فتحاسبونا عليه وفى خبر اخر ما ملكنا شيا فنعدل به ولا نجوز ولكنا عبدنا

ربنا فدعانا فاجبنا فينادى منا دٍ صدق عبادى ما على المحسنين من سبيل الله

غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى فى النار خير ام من ياتى امنا

يوم القيامة فاعظم برجل يشاهد تلك الاحوال والزلازل والوقايع وهو امن

لا يدخل قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسال الله تعالى ان يجعلنا واياكم

من اولئك السعداء وما ذلك على الله بعزيز واما الجنة والنار فتامل

فيهما ايتين من كتاب الله احديهما قوله تعالى ثم تمتم ثم اباطهور ان هذا

كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا وقال حكاية عن اخرين ربنا اخرجنا

منها فان عدنا فانا ظالمون فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون وروى انهم يصبرون

عند ذلك كلا با يعاوون فى النار نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه

الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه لا ندرى اى المصيبتين اعظم

فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر عنها واما النار فلا صبر

عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من معاناة الجحيم ثم معاناة الطامة الكبرى

والمصيبة العظمى فى الخلود اذ لو كان منقطعا لكان الامر هينا ولكن الشان

فى ابد بلا اخر فاى قلب يحمل ذلك واى نفس تصبر على ذلك ولذلك قال

عيسى صلى الله عليه وسلم ذكر الخالدين يقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن

ان اخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام ينادى يا حنان

يا منان فبكى الحسن وقال ليتنى كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما

يخرج فرجع الامر كله اذن الى اصل وهو النكتة التى تقصم الظهور وتصفر قلت م

الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمع العيون من العباد وهو خوف

نزع المعرفة وهذه الغاية التى ينتهى اليها خوف الخائفين وبكى عليها اعين الباكين

وقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصى ان لا تغفر وغم

المعرفة ان تسلب وقال المحصلون بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم

المعرفة ان تسلب وكل غم دونه اذ له انقضاء ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط رحمه

الله انه قال دخلت على سفين فبكى ليلة جمعاء فقلت بكاؤك هذا على الذنوب

فحمل تبنا فقال الذنوب اهون على الله من هذا وانما اخشى ان يسلبنى الله الاسلام

نسال الله ربنا المنان سبحانه ان لا يبتلينا بمصيبة وان يتم علينا بفضله وكثير

نعمه وان يتوفانا عليه وعلى ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا

شيا من سوء الخاتمة ومعناه فى كتاب احياء علوم الدين فتامل هناك فان الخوض

فيه ههنا خروج الى الاكثار فتامل هذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتى عليه

الوهم والذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه فان قلت فاى الطريقين اسلك

طريق

طريق الخوف وطريق الرجا فقال لك المركب بينهما فلقد قيل من غلب عليه الرجاء

صار مرجيا بل نبا يخاف عليه ان يكون جرميا ومن غلب عليه الخوف صار

حروريا والمراد ان لا ينفرد باحدهما دون الاخر فان بالحقيقة الرجا الحقيقى

لا ينفك عن الخوف الحقيقى والخوف الحقيقى لا ينفك عن الرجا الحقيقى ولذلك قيل

الرجا كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل الرجا لا الياس فان قلت هل يكون

احدهما ارجح واكثر ذكرا لحال فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف

اولى واذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجا اولى كذى سمعت

العلماء يقولون قلت وذلك لما روى ان الله يقول انا عند المنكسرة قلوبهم من

مخافتى فيصير رجاؤه اولى فى ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان

الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت اليس

قد جاءت الاخبار الكثيرة فى حسن الظن بالله والترغيب فى ذلك فاعلم ان من

حسن الظن بالله الحذر عن معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد فى خدمته

واعلم ان ههنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثيرة من الناس وهو

ان الفرق بين الرجا والامنية ان الرجا يكون على اصل والمنى لا يكون على اصل

مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجوان يحصل لى منه

ماية قفيز فذلك منه رجا واخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام

واغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجوان يحصل لى ماية قفيز فيقال

من يمنِّي لكن هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله
تعالى واتقى عن معصية الله فقال ارجوان يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا
التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا يسمى رجاء واما اذا
اغفل ذلك وترك الطاعات وارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ورضاه ووعده
ووعيده ثم اخذ يقول ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك امنية لا
حاصل تحتها سماها رجاء وحسن ظن وذلك خطأ وضلال قلت ومما يس
هذا الاصل ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني
وفي ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا وليست لهم حسنة يقول احسن الظن بربي وكذب ولو احسن الظن
بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم الآية
وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العابد وقد بدت اضلاعه من
الاجتهاد قلت يرحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رايت
مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فابكاني
قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة
والجد عن المعصية فانتم يقول اما كان لهم حسن ظن بالله بلى فانهم كانوا
عالمين بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون

الاجتهاد امنية وغرور فاعتبر هذه النكتة وتامل واسه من نفسك والله
تعالى ولي التوفيق **فصل** وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة
الله سبحانه التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء ثم كونك من هذه الامة المرحومة
الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان
كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كون امداده اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة
من غير شفيع او قدم سابقة كل وتذكرت من جانب اخر كمال جلاله وعظمته
وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا تقوم له السموات والارض ثم غاية غفلتك
وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته ثم احاطة علمه بعيوبك
والعيوب في حسن وعمل والثواب الذي لا تبلغ كنهه الاوهام ومثل
وعيده والعقاب الذي لا تحتمل ذلك القلوب تارة ينظر الى فضله و
تارة ينظر الى عذابه وتارة ينظر الى رحمته وانعامه وطورا ينظر الى العسكر
في جفوته وجناياتك ان يؤديك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت
قد سلكت السبيل القاصد الى المقصود وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن
واليأس ولا تتيه فيهما مع التائهين ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشرب
الممزوج العدل فلا تهلك ببرودة الرجاء ولا تحترق بحر الخوف فحينئذ قد
وصلت الى المقصود فانا ارشدتك الى العقبتين سالما وقد وجدت النفس قد
انبعثت للطاعة ودائبة في الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة

واجتنبت المعاصي والمخازي وهجرتها بمرة كما قال
ثوف البكالي ان قوما اذا ذكروا الجنة طال شوقه واذا ذكر
النار طار نومه فصرت حينئذ من الاصفياء الخواص
العابدين الذين وصفهم الله انهم كانوا يسارعون في
الخيرات الآية وكنت قد قطعت هذه العقبة الخطرة باذن
الله وحسن توفيقه فلم تكن من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم
لك من ذخر كريم واجر عظيم في العقبى فالله تعالى المسؤول
ان يمدك واياي بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين
واجود الاجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
الباب السادس في
العقبة السادسة

وهي عقبة القوادح ثم عليك يا اخي امدك الله واياي
بحسن توفيقه بعد ما استبان لك السبيل واستقام لك
المسير بتمييز سعيك وصيانتك عما يفسده ويضيعه عليك
وانما ذلك بامرين الاخلاص وذكر المنة والاحتساب من جملة
لامرين احدهما لما في فعله من الفائدة وهو حسن القبول
من الله ووفور الثواب عليه والا فيكون مردودا لهبا

الثواب كلا او بعضا على ما ذكر في الحديث المشهور عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا اغنى
الاغنياء عن الشرك ومن عمل عملا اشرك فيه غيري فنصيبي
له فاني لا اقبل الا ما كان خالصا لي وقيل ان الله
يقول لعبده يوم القيامة اذا التمس الثواب لعمله الم يوسع
لك في المجالس الم تكن الموسوم في الدنيا الم يرخص لك بيعك
وشراؤك الم تكرم هذا واشباه هذه من الخطر والضرر
اعوذ من خطر فضيحتان ومصيبتان اما
الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهي اللوم على رؤوس
الملائكة وذلك ما ذكر ان الملائكة يصعدون بعمل العبد
مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم يردني
به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية
وهي يوم القيامة على رؤوس الخلائق روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال المرائي يوم القيامة ينادى باربعة
اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك
وبطل اجرك ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت
تعمل له يا مخادع وذكر انه ينادي مناد يوم القيامة

يشبع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا
خذوا اجوركم ممن كنتم عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه
شيء ولقا المصنفان فما حدهما فوت الجزء وذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت
اني حرام على كل بخيل ومرائي والحد يحتمل معنيين
احدهما ان هذا البخيل من يبخل باحسن قول وهو
قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المرائي من يرائي
باشنع ريا وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده
وفي هذا القول توجيه والثاني ان يبتلي بالبخل
والريا ولم يراع نفسه ففيه خطر ان يلحقه شوم ذلك
فيقع في الكفر فيفوته الجنة والعياذ بالله
والمصيبة الثانية دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من
يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القران ورجل قاتل
في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى
للقارئ الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب
فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل واطراف

والنهار فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملائكة كذبت و
يقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قارئ
فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله
تعالى الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد
فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما اتيتك قال
كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله سبحانه كذبت وتقول
الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد
قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول ما فعلت
فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت
فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان
يقال فلان جريء وشجاع فقد قيل ذلك قال ثم ضرب
رسول الله يده على ركبتيه وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله
تسعر بهم نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في النار
واديا يعجون من اهل الريا قيل يا رسول الله وكيف
تعج النار قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذه
الفضائح بلاغ لذوي الالباب واولي الابصار والله ولي
الهداية بفضله

فان قلت فاخبرنا عن حقيقة الاخلاص والريا وحكمهما وتاثيرهما
في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص
العمل واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص العمل لله تعالى
فهو ارادة التقرب الى الله وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث
عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو
التقرب الى من دون الله سبحانه وقال شيخنا النفاق
هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله وليس هو
من قبيل الارادات لعله ما ذكرناها في موضعها واما الاخلاص
في طلب الاجر فهو ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان
شيخنا يقول هو ارادة نفع الاخرة بذكر ما يعتد خيرا
بحيث يرجى به نيل المنفعة وقد شرحنا هذه الشرائط وقال
الحواريون لعيسى ابن مريم ما الخالص من الاعمال قال ٢
الذي يعمل لله ولا يحب ان يحمده عليه احد وهو الغرض
لترك الدنيا وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب
المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية
الاعمال من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص
دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان

الكامل والاقاويل في هذا كثير ولا فائدة في تكثير النقل بعد
انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين والاخرين
صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال تقول
ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد
الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذا اشارة الى
قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص
حقا وضد الاخلاص الريا وهو ارادة والتخليط
ان يريد بها جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة ثم الريا ضربان
ريا محض وريا تخليط فالمحض ان يريد به نفع الدنيا لا غير
والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الاخرة وهذا احكامهما
واما تاثيرهما فان اخلاص العمل ان تجعل الفعل قربة
واخلاص طلب الاجر ان تجعله مقبولا واوفر الاجر و
التعظيم والنفاق يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة ويجعله
عليه الثواب بالوعد من الله تعالى فالريا المحض لا يكون
من العارف عند بعض العلماء وان كان ابطل نصف الثواب
وعند اخرين قد يكون الريا المحض من العارف فانه يذهب
بنصف الاضعاف والتخليط يذهب ربع الاضعاف والصحيح

عند شيخنا لان الريا المحض لا يكون من العارف مع تذكر
الاخره ويكون مع السهو والمختار انه من تاثير الريا دفع
القبول والنقصان في الثواب وانه لا تقدير له بصعف
لو ربع ومرح هذه المسائل يطول وقد شرحنا في كتاب الاحيا
سرحا مستقصى واشبعنا القول في اسرار المعاملات في الدين
فان قلت فما موضع الاخلاص وفي اي طاعه يقع وجب ما عليه
ان الاعمال عند بعض العلما ثلثه اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان
جميعا وهو العبادات الظاهره الاصليه وقسم لا يقع فيه شي
منهما وهو العبادات الباطنة الاصليه وقسم يقع فيه اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذ للعمل
قال سبحانه كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله من
العبادات الاصليه يقع فيها اخلاص العمل فاما العبادات
الباطنة اكثرها يقع فيها اخلاص العمل فاما اخلاص طلب
الاجر قال مشايخ الكراميه لا يقع في العبادات
الباطنه اذ لا يطلع عليها احد الا الله تعالى فامتنع منها
دواعي الريا فلم يحتج الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا
يقول اذا اراد وجه الله بالعبادات الباطنه يقع الدنيا من الله دله
هو بدم

هو ايضا ريا فلت اما فلا يبعد اذن ان يقع في كدوت
العبادات الباطنه الاخلاصان جميعا وكذا النوافل يقع فيها
الاخلاصان جميعا عند الشروع واما المباحات الماخوذ للعمل
يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ لا يصلح
ان تكون نفسها قربه بل هي عون على القربه فان قلت
هذا موضعها فبين لنا وقتها من العمل فاعلم ان اخلاص العمل
مع الفعل يقارنه ولا محاله ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب الاجر
ربما يتاخر عنه وعند بعض العلما يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل
فاذا فرغ على اخلاص او ريا فقد انقضى الامر ولا يمكنه استدراكه
بعده وعند غيرنا من المشايخ الكراميه ما لم يزل المنفعه المطلوبه
بالذكر ما يمكنه اقامه الاخلاص في ذلك العمل فاذا زال المطلوب بعد
فات وقال بعض العلما ان الفريضه يمكن اقامه الاخلاص
فيها الى الموت اما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال
والفرق ان الله ادخل العبد في الفريضه فما فوا حقه
التفضيل والتيسير فيها واما النفل فالعبد الذي ادخل نفسه
فيه وكلفه مطلوب بحق ما كلف قلت وفي هذه المسئله نظر
وهي ان من سبق منه الريا او ترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراكه

ذلك وتلافيه على احد الوجوه التي ذكرنا والمقصود من نقل مذاهب
الناس في هذه الدقايق علمنا الان تعلم العالمين وتهمه الرغبه
في سلوك هذا الطريق والتعريب على المسدد في العباده فان لم تجد
لغلبه دواعي هذا القول وجه في الاخر الاختلاف الاعراض وعلل
الاعمال واماتتها فانهم راسلا انشا الله تعالى فان قلت اكل
عمل يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه قد اختلف في ذلك فقيل
انه يجب لكل عمل اخلاص مفرد وقيل انه يجوز شاو اخلاص
جمله من العبادات اما العمل ذو الاركان كالصلوه والوضو فيكفيها اخلاص
واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا وفسادا فصارت كشي واحد
فان قلت لو اراد بعمله الخير من الله ولا يريد من الناس شيئا من
مدحه او جمع او منفعه ايكون ذلك ريا فاعلم ان ذلك محض الريا
قال علما الاخبار في الريا المراد لا بالذي يريد منه
فان كان مراده من عمل الخير نفعا دنيويا فانه ريا محض سوا اراده
من الله او من الناس قال الله تعالى من كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخره من نصيب وليس الاشتقاق للفظه
الريا واشتقاقه من معنى الرويه وانما سمي هذه الاراده الفاسده بهذا
الاسم لانها اكثر ما يقع يكون من قبل الناس ورويتهم فافهم فان قلت

فاذا كان القصد في الدنيا التي يريدها من الله التعفف عن الناس
والعون على عباده الله تعالى ايكون ذلك ريا فاعلم ان التعفف
ليس في كثره المال والحطام انما هو في القناعه والثقه في كفايه
الله واما العون على عباده الله فاذا كان مراده ذلك فلا يكون ريا
وكذلك ما يتصل بامر الاخره واسبابها ويصير لطفا كذلك فان
اراد بعمل الاخره الخير هذا النوع لا يكون تلك الاراده ريا لان
هذه الامور تصير بتلك النيه خيرا وتصير في حكم الطاعه بالخير ولا تكون
الخير له اراده الاخره ريا وكذلك لو اراد ان يكون له تعظيم عند الناس او
محبه عند المشايخ والايمه يكون قصده من ذلك التمكن من تمهيد
مذهب الحق والرد على اهل البدع والتنزل على اوضع الناس
على العباده ونحو ذلك دون ان يقصد بذلك حظ النفس من حب
مدح او دنيا فاعلم ان هذه كلها ارادات شديده ونيات محموده لا تدخل
في شي منها في باب الريا اذ المقصود منها العمل الاخره بالحقيقه واعلم
اني سالت بعض مشايخنا عما يعتاده اولياونا من قراءه سوره الواقعه
اوان العسره له في ايام العسر اليس المراد بذلك ان يدفع الله تلك العسره عنهم ويوسع
عليهم شيئا من الدنيا على ما جرت العاده فكيف يصح اراده متاع
كلاما معناه له الدنيا بعمل الاخره فقال في جوابه كلاما معناه ان المراد منهم

الى يوم نعم لله قناعة او قوتا يكون لهم عونا على عبادة الله تعالى
وعون على درس العلم وهذه من جملة ارادات الخير دون
الدنيا واعلم ان هذه السنين اعنى قراءة هذه السورة عند
الشدة فى امر الرزق والخصاصة لا شك وردت بها الاخبار
المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضى الله عنهم
حتى كان ابن مسعود حين عوتب فى امر ولده فى ترك
لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك للاجل
فى المستجرى هذه الخصلة فى سير علمائنا والابدال الاتهم رحمهم الله
يستوى عنده امر الدنيا او سعته وهم الاين يغتمون بضيق الدنيا
وعسرها ويتفألون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله نعمة عظيمة
ويحامون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التى لا يعدها اكثر الناس الا الضيق
والشدة استدراجا من الله ومصيبة كيف ويطالبهم الاسعار
والطى فى عموم الاحوال وكثير منهم يقولون الجوع راس مالنا وهذا
موضع مذهب اهل التصوف ومعرفتهم ومذهب اشياخى ومن ذلك
جرت سير سلفنا واما تقصير بعض المتاخرين فلا يعتبر به وانما
ذكر هذا الفصل لئلا تغتر بنفسه مخالف جملة منه مقاصد القوم
امورهم او يغلط فيه فتبدى مبلغ الصدر بطلاب من العلم حقه بالله

ومقدمتهم بد

بقي بد

يعرف كيف يلبس هذا المجال باهل الزهد والتجرد ولرباب الصبر
والرياضة ولم يعلم ان هذا شئ ماخوذ من الشرع المقصود حصول القناعة
والعون لا اتباع الشره والشهوة والضعف عن احتمال العسر والقلة واكثر
ما ذكر فى عقب ذلك فما عنى فى القلب ومقل كلية وضعفه وغلوه
عن الطعام ولمنه على ذلك متى متحنه فاعلم هذا ليجد هو عالم الله
العقبة الثانى فى العجب وانما يلزمك احتنابه لامرين
احدهما انه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله فان المعجب مخذول واذا
انقطع عن العبد التأييد والتوفيق من الله تعالى فما اسرع ما يهلك
ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثانى انه يفسد العمل الصالح
ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم يا معشر الحواريين كم من سراج
قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان المقصود
والقائد العبادة وهذه الخصلة تخرم العبد حتى لا يحصل له خير
فان حصل فيك من ذلك يفسد حتى لا يبقى بيدك شئ فحقيق ان تحذر
من ذلك وتحتفظ والله تعالى ولى التوفيق والعصمة فان قلت
فما حقيقة العجب ومعناه وما تاثيره وحكمه فبين لنا ذلك فاعلم
ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وتفضيله عند علمائنا ذكر

الجوع

العقبة

العبد حصول شرف العمل الصالح بشئ دون الله كالناس او النفس او الشئ فالواو قد يكون
العجب مثلثا بان يذكر ذلك من هذه الثلثة جميعا النفس والخلق والشئ ومثنى بان يذكر من
اثنين وموحدا بان يذكر من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو ان يذكر انه بتوفيق الله تعالى
وانه الذى شرفه وعظم ثوابه وهذا الذكر فرض عند دواعى العجب نفل فى سائر الاوقات
واما تاثير العجب فى العمل قال بعض اصحابنا المعجب مخطر بالاحباط فان تاب قبل موته سلم
والا حبط واليه ذهب محمد صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عندهم ان يرى
عن العمل جميع اسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفى قول غيره
هو ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد العارف ان الله هو الذى
وفق للعمل الصالح وعظم قدره واكثر ثوابه عنه وفضله فاعلم انه مسالك لطيفة
وخبرة شريفة فى بين الناس فى العجب ثلثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم
المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم منة فى افعالهم وينكرون العون والتوفيق
الخاص واللطف وذلك الشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال
وهم المستقيمون لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتاييد خصوا به
والثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة فانهم تارة يتنبهون فيذكرون منة الله وتارة
يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الاجتهاد والنقص فى
البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة فى افعالهم فاعلم ان فى ذلك لعلمائنا
فقيل انها محبطة لمكان اعتقادهم وقيل لا تحبط على اعتقاد الجملة من دون السلم

الاحباط عند ... باطل

حتى يحصل كل عمل باعجاب كالذى اعتقاد اهل السنة لا يبلغ العجب فى
كل عمل حتى تحصنه بذكر المنة فان فصل فيها سوى العجب والرياء ما دخ
فى العمل قيل لم اجل ان فيه لفوائد سوالها لكنا خصصناها بالذكر لانها الاصل
الذى يدور عليه معظم الباب وقد قال بعض المشايخ انه حق العبد ان يحفظ
فى العمل عشرة اشياء النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة
والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس وذكر شيئا ضد ذلك وضد كل
خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق اخلاص العمل وضد التخليط التقوى
وضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحسين العمل وضد الندامة تثبت
النفس وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون
تعظيم التوفيق وضد خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق
يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذى يبطلان الصدقة فى الحال
الوقت وعند البعض المشايخ بطلان اضعافها واما الندامة فانها تحبط
الجماع قول جميعهم والعجب يذهب اضعاف العمل والحسرة والندامة والتهاون
تخفف العمل فتذهب زيادة الثقل العمل قلت فالقبول والرد عند
التحصيل يرجعان الى الضروب من التحبط والاستحقاق والاحباط ابطال
المنافع يكون بالفعل وبسبب ثم تاره يكون ابطال الثواب واخرى بابطال التضعيف
والثواب منفعة يقتضيها الفعل بعينه وقرابته واحوالها والتضعيف زيادة

المعرفة

زيادته بد

مرتبط الرزانه آهسته شدن وارام گرفتن

تلك هذا او الوراثة وبان تحصل بمقتضى الكفران واحوال اخرى كالاحسان
الى احد من اهل الخير ثم الى الوالدين ثم الى بني سن للابنيا فهي التي
تكون وراثة ولا يكون تضعيف عند اهل السنة ما تحقق في هذا الباب
فافهم ذلك وبالله التوفيق **فصل** فعليك بقطع هذه
العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية التحرز فان صاحب بضاعة
الطاعات قد قطع كل تلك العقبات وتحمل تلك المشقات حتى حصل
له بضاعة من العبادة عزيز خطرها فانه لا يخاف على بضاعته
تلك الآفة هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان تسلب فيها
بضاعته ومتالف يحذر ان يبيد وامثال آفات تفسد عليه طاعته
ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا هذين القطعان اللذان هما الرياء والعجب
فلنذكر في كل منها اصولا مقنعة نجردها لك لعلك تكفي بتوفيق الله باذن والصدر
الله اما الرياء فاذكر اولا قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
الاصل الاول
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان
الله يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما كل هذه اصل الاول
الصنائع والبدائع والتعنيت بنظر كل العالم الى ... عالم الصنائع على
ذلك مع ما فيها من العجائب والقصص ولا تكتفي بنظر الملك وتعلي ...
علمك وتسارك ... حتى تحب ان تعلم الخلق لتمدحوك بذلك الكون ذلك

الاصل الثاني
ومما الكون ذلك عقلا وضيراحة للنفس ... فلا تغفل الاصل الثاني من كان له
جوهر نفيس يمكنه ان يأخذ به قيمته الف الف دينار فباعه بفلس اليس ذلك يكون خسرانا عظيما
وغبنا فظيعا ودليلا على خسته الهمة وقصور العلم وضعف الرأي ورقة العقل وما ذا الا
العبد بعمله الخلق من حيث حيطلم بالاضافة الى رضا رب العالمين وشكره وثوابه
الاقل من فلس يصب العالم في حيات بل في حسنة الدنيا وما فيها واكثر الاكابرين من الخزائن
المبين ان يتوخى تشكل تلك الكرامات العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنيئة وان كان
لابد من هذه الخسيسة فان قصدت الاخرة تشغل الدنيا بل اطلب الدين وحده
يعطيك الدارين الاخرى والدنيا جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي
الاخرة بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية جردت الهمة للاخرة حصلت لك الاخرة
والدنيا جميعا وان انت اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا والعباد ما عندهم
الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والاخرة فتأمل ايها الغافل اصل الثالث
الاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله تعمل وبرضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله لا لغضبك
ولسخط عليك واستهانك واستحقر بك فكيف يعمل العاقل العمل لاجل من لو علم ما به يطلب
رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل من اذا علمت لاجله وقصدته بعملك وطلبت رضاه
بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل وكفاك فهذه هذه فانظر لها ان كنت
تعقل الاصل الرابع ان من حصل له معي يمكن ان يكتسب به رضا اعظم ملك في الدنيا اصل الرابع

لو انه يطلب به رضا الكناس خسيس من الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي
وسوء الحظ ويقال له ملجا جعل ... رضا هذا الكناس مع امكان من رضا الملك فلعله وقد يحط
الكناس عليك بسبب سخط الملك فما تكل الكل فهذا حال المرائي فاي حاجة له الى رضا مخلوق
حقير ضعيف مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل فان صعبت النية
وكلت العين حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد ارادتك وتخلص عملك لله رب العالمين
فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويحسن من حيث الصدور فينال
من ذلك ما لا ينالك بجهدك وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضى المخلوقين دونه يجعله
فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل لكن هذا الامر يسخط الله
ويسخط الناس جميعا فيا له من خسران جرمان ولقد ذكر عن الحسن رضي الله عنه انه قال
كان رجل يقول والله لا اعبدن الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل المسجد واخر خارج منه
لا يراه احد حين الصلوة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ومجالس الحلق الذكر فثبت كذلك سبعة
اشهر وكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه وقال الي
في غير شي لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت
نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحم الله فلانا الآن اقبل الى الخير ثم قرأ الحسن
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ولقد صدق القائل حيث
يقول يا ساعي الجهد الثاني على تتبع الجهالا قد ابطل الله دارا حب التعب والكلالا
من كان يرجو القارب اخلص من قلبه الفعالا الخلد والنار ... فرّ به ... الاوالا
والناس

والناس لا يملكون شيئا فكيف لي تتبعهم سبيلا لا واما العجب فلنذكر فيه فصولا امالعجب
احدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة لما يقع من الله موقع الرضا والقبول والا فقد اجير يعمل
طول النهار بدرهمين ويحارس يحرس طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات والحرف كل واحد
يعمل في الليل والنهار شيئا لا يكون قيمة ذلك دراهم معدودة فان صرفت العمل الى الله خصت الله يوما قال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وفي الخبر؟
ولا خطر على قلب بشر فهذا يوم الذي قيمته درهمان او دانقان مع احتمال التعب العظيم صارت له كل هذه
القيمة بتاخير غد الى عشاء ولو صرفت ليلة لله تعالى قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا
يعملون فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صارت له كل هذه القيمة والقدر بل لو صرفت لله ساعة تصلي
فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى
الى قوله بغير حساب فهذه ساعة من انفاسك التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها
في لا شيء وكم يمر عليك بلا فائدة فصار لها كل هذا القدر لما خاطبتها وقعت في شان الله فعظم قدرها
وكثر قيمتها بفضله فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان لا يرى
الا منة الله عليه فيما شرفه به من تقدير عمله ولعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على
وجه لا يصلح لله ولا يقع منه موقع الرضا فيذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في
الاصل من الثمن الحقير من دراهم او دوانيق واحقر واخس من ذلك مثاله ان العنقود من
العنب والاضبارة من الريحان تكون قيمته في السوق دانقا وان اهديت واهديا الى ملك اهداء
سماحه فوقعت منه موضع الرضا فيهب له على ذلك الف دينار لما وقع منه موقع الرضا فصار

فصارت نعمته حتى يلقف فينا ان فادلم بعض الملك وركه عليه يرجع الى نعمته الخسيسة من حبة
او دانق فكذلك ملحض فيه فتنبه واحرص منه الله عما يشينه عند الله تعالى
والثاني يعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جرايه من طعام او كسوة او دراهم او دنانير
بعد خدمة فانية فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار
ويقوم على راسه حتى تخدر رجلاه ويمشي بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون عليه طول الليل
حارسا وربما يبدو له عدو فيحتاج ان يقابل عدوه فيبذل روحه التي الخلف عنها لاجله
ويحتمل كل هذه الخدمة والكلفة والخطر والضرر لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة مع انها
بالحقيقة من الله سبحانه وانما هو بمنزلة سبب فربك الذي خلقك ولم تك شيا ثم رباك واحسن
التربية ثم انعم عليك من النعم الظاهرة والباطنة في حيلك ونفسك ودنياك ما لا يبلغ كنهه
فهمك ووهمك فقال عز من قايل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما
من المعايب والافات وقد وعدك عليهما في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم
ذلك وتعجب منه فليس هذا من شان عاقل فانظر هذا فصل والاصل الثاني ان
الملك الذي من شانه ان يخدمه الملوك والامرا ويقوم على راسه العلما ويتولى خدمته
الاوليا والحكما ويطلب صحبته العقلا والعلما ويمشي بين يديه الاكابر والروسا اذا اذن لسوقي او قروي
بمقتضى رافة وعناية له في بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والافاضل في خدمته وجعل له مقاما
من حضرته معلوما وطول الخدمة بعين الرضا وان كانت مشوشة معيبة البرهان لعدم ثبوته على هذا
الحقير المنة من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيبة

وصل فعلك ح

في ذلك ح

السادات ح

ويستعظم ذلك ويعجب به الاتقان كما ان ذلك لسخيف جدا او مجنون لا يعقل شيا وانا تقرر
هذا فاعلم ان ربنا سبحانه هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي الا يسبح بحمده
والمعبود الذي يعبده من في السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم عليا بابه جبريل الامين وميكايل
واسرافيل وعزرايل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وساير الملايكة المقربين الذين لا يحصى
عددهم الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من الذين
خدموه على بابه ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين في ساير الانبيا والمرسلين صلى الله عليهم
اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة وفعالهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة
ثم من العلما والايمة والابرار والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة واحوالهم النقية الطاهرة وعباداتهم
الكثيرة الخالصة المستطرفة وادنى الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون له على الاذقان
ساجدين يعفرون الوجه في التراب خاضعين ويرفعون حوايجهم اليه باكين ضارعين معترفون
له بالعبودية والتعظيم اجدر ما عرض حتى ربما نظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة او يتجاوز عنهم
بكرمه زلة وانه مع هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد اذن لك في مناجاته بعيوبك وانت الذي
لو استاذنت على رييس بلدك فربما لا ياذن لك وان كلمت اميرا في حاجتك فربما لا يكلمك وان يحدث
لسلطان او اكثر الارض فربما لا يلتفت اليك وقد اذن لك حتى جلاله ان تخدمه وتثني عليه
وتخاطبه ثم تدل عليه بالمسألة وتباسطه فتستقضي حاجتك وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى بركعتيك
في معانيها بل يعدك من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين
وتستكثر ذلك وتستعظمه ولا ترى منة الله عليك في ذلك فما انوكك من جاهل وما اجهلك من انسان

ومعاملاتهم ح

بالمباسطة ح

الى بنا الى

فصل والله تعالى المستعان واليه المنتهى من هذه النفس الجاهلة على الكلال نعيد من تنبه
على مثل الملك العظيم اذا اذن في ادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرته الامرا والكبرا
والروسا والاغنيا بانواع الهدايا من الجواهر الثمينة والهدايا النفيسة والاموال الجليلة فجا بقال
له بياقة بقل او فروج بسلة عنب يساوي حبا فقال حبة فيدخل في حضرته ويزاحم اولئك
الاغنيا والاكابر بهداياهم الكثيرة النفيسة هذا الملك يقبل من هذا الفقير هديته وينظر اليه بنظر
القبول والرضا ويامر له بانفس خلعه وكرامه الاكثر على غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير يمن
بذلك على الملك ويعجب ويستعظم ويثني بكرمه الملك الا يقال ان هذا مجنون مضطرب العقل
او سفيه سيء الادب عظيم الجهل فالان انك اذا قمت ليلة وصليت ركعات فاذا فرغت فتفكر
كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدم في اقطار الارض بحرها وبرها وجبالها وسهلها من
اصناف المستغيثين بالصدق من الخايفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضر
في هذه الساعة بباب الله تعالى من عبادة صافية وخدمة خالصة من انفس خاشعة والسن طاهرة
وعيون باكية وقلوب عامرة وصدور نقية وصلوتك ان كنت بذلت المجهود في تحسينها واحكامها
واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم فلا تبين في جنب تلك العبادات التي
تعرض هنالك كيف وقد كانت منك عن قلب غافل مختلط بانواع المعصية والفضول فكيف تصلح
هذه ان تحمل الى تلك الحضرة وكيف يستاهل ان يدرك الحرب العز قال شيخنا انظر ايها الغافل
هل رايت تحظ صلوة من صلوتك الى السما كهدية بعثتها الى بيوت الاغنياء وكان ابو بكر
الوراق يقول ما فرغت من صلوة الا استحييت حين فرغت منها اشد حياء من امراة فرغت من الزنا

فصل
ما كان انما في الله

ومجلية ح

الهدية وبذلك في لقدار العدو
ولسان متطايرا وان ع

ثم ان الرب الكريم سبحانه بمحض كرمه وفضله عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليهما من جزيل الثواب
ما وعد وان عدلا في جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره ومع ذلك تعجب بذلك وتنسى منة الله
عليك هذا والله عجب العجب لا يكاد يرى مثله الا من جاهل لا تذكرة له وغافل لا ذهن له او قلب ميت
خاو الحمد فيه فهذه نسال الله الكفاية منه بفضله فصل ثم انك بعد هذه الجملة تيقظ
من رقدتك ايها الرجل في هذه العقبة واكثر من الحذر فان هذه العقبة اشد واشق واصعب
عقبة استقبلتك في هذا الطريق اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات فان سلمت غنمت وربحت
وان كانت الاخرى فقد ضاع السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه العقبة
مما نحن فيه امور ثلاثة اولها ان الامر دقيق جدا والغش شديد والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري
الريا والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد ينتبه لذلك الا كل نحرير في العمل ذي بصير
فطان القلب والذي يطلع عليه الجاهل اللعوب والغافل النوام ولقد سمعت بعض علماء نيسابور
يحكي ان عطا السلمي نسج ثوبا فاحكمه واحسنه ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز
وقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذه عطا جلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل
يعتذر اليه ويبذل في ثمنه ما يريد فقال له عطا ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة وقد
اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير بعيوبه
اظهر فيه عيوبا كنت عنها غافلا فكيف لعمالنا هذه اذا عرضت على الله تعالى كم يبدو فيها من العيوب
والنقصان التي نحن اليوم عنه غافلون وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة
الى شارعه اقرا سورة طه فلما ختمتها اغفيت اغفاءة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي

المحرزم

فنشرها بين ح

بيدك تنشر عاشر ربك فاذا فيها سورة طه والى اخر كل كلمة عشر حسنات منتهى الاكلمة
واحدة فلم يكتب مكانها محوا ولم ار فيها شيئا فعلت والله لقد قرات هذه الكلمة ولم ارها ثوابا
ولا اراها اثبت فقال الشخص صدقت قد قراتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادي من قبل العرش
امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت شيئا وقلت لم فعلتم ذلك فقالوا مر رجل فرفعت
بها صوتك فذهب ثوابها [illegible] وان فائدة العين فان الريا والعجب نتيجة لحظة
فربما يفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفين الثوري واصحابه فقال لاهله
هاتوا الطبق الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت به في الحجة الثانية فنظر اليه سفين
وقال مسكين قد افسد بها حجتيه وقد جنبه آخر في العين ان اقل طاعة سلمت عن علة العجب
والريا يكون لها عند الله يعلام القيمة ما لا نهاية واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الافة بقيت
لا قيمة لها الا ان تداركها الله على ما روي عن علي رضي الله لا يقل عمل بتقية تعالى الله وكيف يقل عمل
مقبول وسئل الضحي عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل ما يحصى ثوابه عن
وهب قال كان ممن قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة صايما يفطر من سبت الى سبت وطلب الى الله
حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك
فانزل الله ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت
قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليسير من الغبن ان احد الكدح وتعب سبعين سنة والفكر
تفكر ساعة واحدة فيكون تفكر ساعة افضل من سبعين سنة وهذا اليسير من الغبن العظيم الذي
يتمكن من ساعة خير من سبعين سنة ويترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان الغفالة
لا شد

لاجله ؟

ملكا ؟

لا تقر خرابا وان الخصلة التي لها هذه القيمة يجب ان يحذر من فواته ويجتنب ومثال هذا المعنى
انما وقع نظر اولي الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق واهتموا لمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا
ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم يغنهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا المثال كلها في الصفة لا في
الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة . واما الذين قل علمهم كل في هذا الباب
نظرهم جهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العجب واستفلوا باتعاب النفوس
في الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب بحيث افنوا اعمارهم العدد والكثرة ولم ينظروا ما فيها من
في المخ والصفوة ما يغني عن الجوز ولا لب فيها وما ينفع رفع القشور ولم يحكم ما بينها وما
يعقل هذه الحقايق الا العالمون بالله المكاشفون والله ولي الهداية بفضله وان اعظم الخطر
فمن وجوه احدها انه ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى
ولك بدن معيوب بعيوب خفية معروف بآفات كثيرة لهو مخوف ان وقع لك مع
تابع النفس اليه يحتاج الى ان يخرج عملا صافيا سالما من عيب [illegible] تالية
الى الشر امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه
ويقع منه موقع الرضاء والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا [illegible] النفس بنوع
بل ربما يصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها هذا والله شان عظيم وخطب جسيم
اما جلال الله عظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار قايمون له بالخدمة اناء الليل
والنهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم
من هو في تسبيح وتهليل فلا يسام القايم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح

ماذوب معيوب ؟

تسبح ؟

تسبيحه ولا المهلل تهليله الى نفخة الصور ثم اذا فرغوا من هذه الخدمة العظيمة قالوا اجمعهم سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين واعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه
يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول لا اقدر اثني عليك بما انت له
اهل فضلا عن ان اعبدك كما انت له اهل فهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعم والايادي فكما قال الله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس على ثلثة دواوين ديوان الحساب
وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يبقى حسنة الا اتى بنعمة حتى تعم الحسنات
وتبقى السيئات والديون فلله فيها المشية واما عيوب النفس وافاتها فقد قدمنا ما فيه بابها والامر المخوف
ان العبد يكدح ويتعب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما
يتعب اعمالها فيفسد بساعة واحدة ليحبط الخطر ذلك كله وربما ينظر الله الى العبد وهو
بين الناس بعبادة وخدمة جعل ظاهره لله وقلبه وباطنه للخلق فيطرده طردا لا مرد له
والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلما يحكي عن الحسن البصري انه ري في المنام فسئل عن
حاله فقال اقامني الله بين يديه وقال يا حسن اتذكر يوما كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت حسنا لصوتك فلولا ان اول صلوتك كان لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي و
لقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة من الدقة والصعوبة الى حد عظيم نظر اولو
الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم لا يلتفت الى جميع ما ظهر للناس من عمله حتى
حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده شيئا و[illegible] اخفوا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم
حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم جو
قال ؟
واضر

بدركه
بعد موته ؟

الوجود

يحق يقول ان امكنك ان لا تجعل لك خبيئا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لبعضهم تزهدني قالت
بابا [illegible] من عملي حكمت انه اجتمع بجمع واسع لعاد رحمه او النار فقال مالك ما الخوفني الى علم شيء
[illegible] وهما البسطامي قال كابدت العبادة ثلاثين سنة [illegible] البايزيد حتى لنه
مملوء من العبادة ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاد ابا الحسن يحكي
عن الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم ان الطاعات غير مقبول عند الله فقيل له في ذلك
فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه الفعل حتى يكون مقبولا واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير
مقبولة فقيل له فلم تفعلها قال عسى ان يحيي لنا يوما فتكون النفس معتودة بعمل الخير فلا احتاج
الى ان اعودها ذلك من الراس فهذه حالة هولاء الاعلام ذوي الاجتهادات
فاطلب لنفسك محبة مع غيرهم [illegible] الايام وخاب الامال هيهات [illegible] ساعد الاقبال
ثم رايت ان اثبت ههنا الخبر الماثور عن الصادق المصدق صلى الله عليه [illegible] في غير كتاب بين عبد الله
بن المبارك عن رجل وهو خالد بن معدان انه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلعم
وحفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء شديدا طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول
الله صلعم والى لقايه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلعم اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السما فقال
الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما يشا يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان انت حفظته
نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله يا معاذ ان الله خلق سبع املاك قبل ان يخلق السموات
لكل سما ملك يجعل على كل باب من ابواب السما ملكا بوابا على الباب وجلاله فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور
وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السما الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا

اكثر ما نرجيس ؟

وما بكر ان [illegible] الطاعة او النار [illegible] واسع ؟

بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني الغيبة
الى غيري ثم تجيء الحفظة من العبد بعمل صالح له نور فتشيعه الحفظة حتى اذا انتهوا به الى
السماء الثانية قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد به عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله عرض الدنيا
يتجاوزني الى غيري فيلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا فيه الصدقة والصيام كثير
من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهى به السماء الثالثة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
انا الملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم وتصعد الكبر
الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الشمس والنجم الزاهر له دوي وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا الى السماء
الرابعة قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانا الملك صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع العجب
عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد وتزف كما تزف العروس
الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة بالعمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس
فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله الحسد
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد من وضوء تام وصيام وحج وعمرة
فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه الرحمة
انه كان لا يرحم قط انسانا وان اصيب عبد بمصيبة تشمت امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد
الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلاة وجهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى
السماء السابعة فيقول الملك الموكل انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به الذكر في المجالس والرفعة الذكر والرفعة
عند القراء والجاه عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن خالصا لله فهو رياء ولا يقبل الله

عمل

عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن
وصمت وذكر الله وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع الحجب كلها الى الله فيقفون بين يديه الرب جل
جلاله ويشهدون بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على ما في نفسه
انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الآدميين وغركم ولا يغرني وانا
علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن
وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعمله
انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام الغيوب عليه لعنتي ويقول الملائكة السبعة والثلثة الاف
المشيعون يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا فيقول اهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكى معاذ
وانتحب بكاء شديدا فقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت قال يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت انت استحاما
رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف لي بالنجاة والخلاص قال نعم يا معاذ ان كان في عملك تقصير فاقطع لسانك
عن الوقيعة في الناس وعن اخوانك من حملة القرآن خاصة وليرد كل عن الوقيعة في الناس ما تعلم من عيب نفسك
ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترائي بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا فتنسى الآخرة ولا تناج
رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك
من سوء خلقك ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يقول تنشط
اللحم عن العظام قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك ليسير على من يسره الله
عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك فاذا انت قد نجوت قال
خالد بن معدان فكان معاذ لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة هذا الحديث وذكره في مجلسه فلا سمع ايها الرجل

بهذا الحديث العظيم بان كلشي الخطر الاليم اثر الذي تطير له القلوب وتحار له العقول وتضيق عن مثله الصدور ويجزع من هول النفوس فاعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكا اناء الليل واطراف النهار مع التضرع بين المتهلين فانه لا يخيب لديه احدا الا برحمته والسلامة من هذه البحر الاعظم حتى يتبين من زمرة الغافلين وانما الامر حتى جاهد تمسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين والله تعالى المستعان على كل حال

فانه حيرني من اهم التعب ولا قوة الا بالله العظيم **فصل** جملة الامر انك اذا احسنت النظر فرايت فاذا طاعة الله ولاية من الخلق عجزهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن في زاهد فيه شانهم مع حقهم وتعظيمهم الذي لا لغاية تحته والزم بطاعتك شانا من ذلك ورايت حشمة الدنيا حقارتها ووشك زوالها وقلة تحصيلها بطاعتك لله وتقول يا نفس لنا رب العالمين شكر لها ومن الاعزاز خير الاعزاز بالمخلوقين وبنا ويهم العاجزين الجاهلين الذي لا يعرفون قدر علمك بالحقيقة وما تحملت فيه وما يبلغون شكر نعماء الله ويحمده بل ربما يفضلون عليك من هو ادون منك حالا بالف درجة ويضيعونك في احوج الاوقات في شغل وان لم يعلموا ذلك فماذا على ان يكون بيدهم واذا ما يبلع قدرتهم ثم في قضا الله يصرفهم كيف شا والى من بيانا عقلي انتها الناس ولا تضيع طاعتك العزيزة بهم ولا يعوق شانه كان محرو وعطا من عطاق وكان حين قال سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير عنوك ضايع وقد ما بين الحقيقة الكلام في ام الطي الجيظم حظام الدنيا وحرامها الذي الفاني وانت تتمكن من ان تحصيل لك بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكن في حسبه الهمة ردية الارادة وضيعة الافعال الا ترى من الكرام اذا الكلب سماويا كيف تحلو قيمته ويزداد قدره فارفع همتك كلها الى الله حرين قلبك الى الواحد الذي بيده الامر كله ولا تضيع ما طلوت من طاعتك بلا شي وكله لك اذا احسنت التامل ان شا الله

تعالى

تعالى ومن عليك في هذه الطاعة بالعظام بان تمكنك فيها واعطاك الالة او لا ثم ازاح عنك العوايق حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق والتاييد ويسرها عليك ونهايته قلبك حتى عملتها ثالثا ثم صح لك الاساس في عظمة واستعماله عملك وطاعتك وكثرة نعمه عليك ووعده لك على هذا العمل اليسير الثنا الجزيل بما العظيم الذي لا تستحقه بالعمل فشكر كل على ذلك واثنى عليك واحتبك بذلك خاشعا فهذه كلها منصلة العظيم لا غير ولا انباي استحقاق لكواني فذلك لعلمك الحقير المعيب ما ذكر نا انها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيا اجل اليك في هذه الطاعة واستحيي من ان تلتفت الى غايب بل الفضل والمنة لله علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال الى الله سبحانه بان تتقبلها ما تسمعين قول خليله ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما فرغ من حجته في بنا بيته كيف ابتهل الى الله تعالى في ان يتفضل عليه بالقبول ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعايه قال ربنا وتقبل دعاي فلبس من عليك بقبول هذه الطاعة المزجاة فلقد اكمل الشي وعظم النعمة ومالك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم ترى لذلك من خلع ونعمة وحضور كرامة وان تكن الاخرى فيالك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي واشتغل بهذا الشان واذا واظبت على هذا وكررته على قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله تعالى صرفك عن الالتفات الى النفس والخلق وشغلك عن مراياة واعجاب وعملك على نحو الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله عليك في جميع الحالات ما رجوت ان يحصل لك طاعة طاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها معبادات مقبولة لا نقص فيها بل مثال هذه الطاعات وان حصلت في العمر مرة واحدة مثلا لا غير فانها بالحقيقة لكثيرة لعمرك انها وان قل عددها لعد كثير معناها وعظم قدرها وكثر نفعها وطاب عقبيها والتوفيق بالله

عمر نوح والفضل لله على العبد كثير واي هدية اجل من هذه يقبلها رب العالمين واي سعي
اكرم من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة اختارها ورضيها رب العالمين فتأمل
ايها المسكين واكرا لذكر ان تكون من المغبونين واذا جرى الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله
الخالصين الذاكرين له وكنت قد خلفت هذه العقبة وسلمت من آفاتها وسبقت بحظك … ابها فاشرا
على الابد بكرامتها وسعادتها والله ولي التوفيق والعصمة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الباب السابع في العقبة السابعة

ثم عليك بحمد والشكر عليك وفقك الله واياك بعد تيسير قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود
من العبادة السالمة من الآفات بالجهد والشكر على هذه النعمة العظيمة والمنة الجسيمة وانما يلزمك
ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم
به تدوم وتبقى وبترك الشكر تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال
تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم وكان الله شاكرا عليما وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها
بالشكر واما حصول الزيادة فلان الشكر قيد النعم وفي الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وقال السيد الحكيم اذا رايت العبد
قد قام بحق النعمة يمن عليه بالاحسان … اهله لها والا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان
دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع
ونعمة

فهو ثمرة

دنيوية ودينية

ودفع ضرر

وهو ان يعطيك الخلقة السوية بسلامتها وعافيتها واللذات الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغير ذلك مما
ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهو ضربان احدهما في النفس ان سلمك من زمانتها
وسائر آفاتها وعللها والثاني دفع ما يقصدك من ضر بشر من انواع العوايق او يقصدك بسوء من انس
وجن وسباع وهوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة
التوفيق ان وفقك الله اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن
الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة ثم عن سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا
العالم الذي انعم عليك بها كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه النعم كلها
بعد ما انعم عليك بها والزيادة عليها امر كل باب منها الا يبلغه وهم فهل كلها معلق بشيء واحد
وهو الشكر والحمد لله وان خصلة تكون لها هذه القيمة كلها ويكون نتيجتها كل هذه الفائدة
لحقيق ان يشتغل بها من غير اغفال لحال فانه جوهر ثمين وكيمياء غريب والله ولي
التوفيق فصل فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر معناهما وحكمهما فاعلم ان العلماء فرقوا
بين الحمد والشكر عند اهل التحصيل ان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون
من الطاعات الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من الطاعات الباطنة لان
الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل
قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء
على الرجل بالفعل الحسن هذا من مقتضى كلام شيخنا واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا
فعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب العالمين

في السر والعلانية والجوارح وذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو آداء الطاعات في الظاهر
والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر الاحتراس
عن احتيار معاصي الله تحترس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله بشي
من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وقول الشيخ الاول ان جعل الاحتراس
معنى مشتملا زايدا على الاجتناب عن المعاصي في الاجتناب عن المعاصي ما هو الا ان لا يفعل
المعصية عند دواعيها والاول في نفسه معنى محصل يكون العبد مشتغلا به عن الاركان
معتصما وقال شيخنا ان الشكر تعظيم المحسن على مقابلة نعمة على حد يمنعه عن جفاء
المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه يصح ان يكون من الله الشكر
للعبد المحسن وفيه تفاصيل وقد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين وغيره
ولكن التحصيل ان الشكر من العبد تعظيم لمنعم من حيث امر احسن اليه وذلك بتذكر
احسانه وهو حسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه ثلث ——
ان اقل ما يستوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال
من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذن من فرض الشكر في
حقيقته ان يكون له من تعظيم الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب
تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد اتى بما هو الاصل فيه ثم بعد ذلك الجد
في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من حقوق النعمة فلا بد من الاحتراس
عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضعه
النعم

النعم دينية ودنياوية على اقدارها واما الشدايد والمصايب في الدنيا في نفس
او اهل او مال فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم العبد
الشكر عليها من حيث هي والمعنى فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة لا غير
قالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم الله فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة به دون
نفس الشدة فتلك النعم ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما قال ما ابتليت ببلية الا كان
لله علي فيها اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منها واذ لم احرم الرضا بها
واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة زايلة غير
دايمة وانها من الله تعالى دون غير الله وان كانت بسبب مخلوق فانه لا عليه
لا له عليك فاذن يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة وقال اخرون
وهو الاولى عند شيخنا انما يلزم العبد الشكر عليها لان تلك الشدايد نعم ان شدايد
الدنيا بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة
واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدايد واية نعمة
يكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها من دا شديد ويفصدك
ويحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة
البدن وصفوة العيش فتكون ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد
والحجامة نعمة بالغة في الحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورته مكروها
ينفر عنه الطبع ويستوحش منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك

ان شدايد الدنيا
بالحقيقة

هذه ابدا تحسن اليهما المتكلف فكان لك حاجة [illegible] شديد ايضا اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم
كيف حمد الله تعالى وشكره على الشدة اين شكره على الرخاء حيث قال الحمد لله على
ما ساء وسر اما ترى كيف يقول جل وعلا فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وما سماه الله خيرا فهو اكثر ما يبلغه فهل يكون هذا القول ان النعمة ليست خيرا
عن اللذة وما تشتهيه النفس ويقتضي الطبع فاما [illegible] في دفعه الى رحمة
فلذلك يسمى نعمة من حيث الزيادة واذا كانت الشدة ما تصير سببا في زيادة
شكر العبد [illegible] درجة فتكون نعمة بالحقيقة وان كانت تعد في الشدائد
والمحن [illegible] موقفا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه
قيل الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص
الخواص [illegible] في نوح صلى الله عليه وسلم انه كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم صلى
الله عليه وسلم شاكرا لانعمه [illegible] الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر
احب الي من ان ابتلى فاصبر وقيل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون
اعظم ثوابا وارفع درجة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال الله تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال ان الله يحب الصابرين والصابر
بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو عن محنة يصبر
عليها لا محالة ولا جزع ولان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنع من عصيانه والجزع
عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا ان الشدائد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم
فانه

قلت الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا [illegible]

فانه شاكر في الحقيقة اذ صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه
اذ هو تعظيم يمنع نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة والصابر
عظم الله حتى منعه تعظيمه عن الجزع في المصائب وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار
شاكرا بالحقيقة ولانه حبس النفس عن الكفران مع قصد النفس شدة صبر عليها الشاكر
وتوفيق الصبر والعصمة نعمة الله فشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الاخر
ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض العلماء
من هذه الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق
فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة
المرفوعة الكبيرة الجليلة العزيزة العنصر العظيمة القدر [illegible] اصلين
احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها الشاكر ودليله
ما قلناه قوله تعالى في الحكاية عن الكفار والرد عليهم اهؤلاء من الله عليهم من
بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين [illegible] الجهال ان النعم العظيمة والمنن الكريمة انما تعطى
من يكون اكثر مالا واشرف حسبا ونسبا فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء [illegible] الاحرار
اعطوا هذه النعمة [illegible] فقالوا على سبيل الاستنكار ومجرى الاستهزاء اهؤلاء من
الله عليهم من بيننا فاجابهم الله سبحانه بهذه الكلمة الزاهرة فقال اليس الله
باعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الحكيم انما يعطي نعمته من يعرف قدرها وانما
يعرف قدرها من [illegible] عليها بنفسه وقلبه فاختارها على غيرها [illegible]

نفسه عن العصيان ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل ض

الموتة في تحصيلها لا امال نا بابا الباب يؤدي شكرها اذ كان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفا
يعرفون هذه النعمة كلها ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة من اهل الاعتياد
بعلمكم وجاهكم وثروتكم في الدنيا وحشمتكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما حسبوا
النعمة كلها في الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلموا ان الدين والحق ومعرفتهم
وانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به ما تعرفون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين والحق
الا متنعما على الناس وذلك لاستحقاركم ذلك وقلة مبالاتكم فان هؤلاء الضعفا يقتلون
انفسهم على ذلك ويبذلون مهجهم ولا يبالون بما فاتهم من عادتهم وذلك ليعلموا انهم هم الذين
عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها فهان عليهم دون كل شي دونها وطاب لهم
احتمال كل شدة يستغرقون جميع العمر في شكرها فلذلك استاهلوا هذه المنة الكريمة
والنعمة العظيمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم تهم منزوم اقول ولذلك
كل فريق من الناس خصصهم الله تعالى بمعنى من علم الدين علم او عبادة فانك تجدهم
بالحقيقة اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما واجدهم في تحصيلها واعظمهم في اركانها
واقومهم بشكرها والذين حرموها فلعله حفظهم وتعظيمهم لحقها بعد القدر اللايق
بل كان تعظيم العلم والعبادة في قلوب السوقة والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء
والمتعبدين لما [illegible] عليه وهان عليهم ترك طالامر ان فيها اذا الطفو بتعلم
مسالة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويجل موقعها
في قلبه حتى ربما لو وجد الف دينار ما كان يعدل ذلك وربما يهمه امر مسلة في باب

صفة الدين

ذلك

سوقهم

الدين فيتفكر مسئلة بل عشرا بل عشرين او اكثر ولا يستكثر ذلك فالعمل الحسن ربما وفقه
الله فيه ذلك فيعتده اعظم منه واكثر نعمة ويرى نفسه بذلك اعلى كل عز واشرف كل شريف
ثم ربما تبين مثال هذه لسوقي او متعلم كسلان يرى من نفسه انه مثل ذا الرغبة في العلم
والمحبة لله تعالى ولا يستمع اليه محققه وربما ان طال عليه الكلام يمل ويهم وان تبين
ذلك له فلا يعده كثيرا وكذلك المنيب الى الله تعالى كم يجتهد ويواظب بالرياضة وصيانة
النفس من الشهوات واللذات وكظم الارادات في الحركات والسكنات عسى ان يتم
الله تعالى له ركعتين في ادب وطهارة ولم تضرع الى الله عسى ان يرزقه ساعة مناجاة
بصفوة وحلاوة ولئن ظفر بذلك في شهر مرة بل في عمره كله مرة عد ذلك اكثر
منه واعظم نعمة وكم يسر وكم يشكر الله تعالى ولا يكثر في مقاساة من المشقات ومكابدة
من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم الذي يدع اسمه رغب في العبادة حب ان يحصل
له شي منها او الحاج احدهم في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى التعلق بلقمة
في طعامهم او ترك كلمة لا يعنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا تسمح انفسهم بذلك ولا تطيب
قلوبهم فان اتفق لهم في الندرة حصول عبادة في صفوة فلا يعدونه خطيرا ولا يفتقدون
فيه كثيرا شكر الا بعظم سرورهم ويكثر بالظاهر حمدهم اذا حصل لهم درهم
واستقامت لهم كسوة او طابت لهم مرقة او طالت لهم في سلامة البدن مدة
فيقولون عند ذلك الحمد لله فهل امر فضل الله تعالى يساوي هؤلاء الغافلون
~~الناس~~ واولئك المويدون بفيه ظاهر بايدي وكذلك فهم الامر

بالحام ؟

بقيه

العاجزون اولئك السعداء والكلب المجتهدين الكبير عندي السالكين صاروا
محرومين

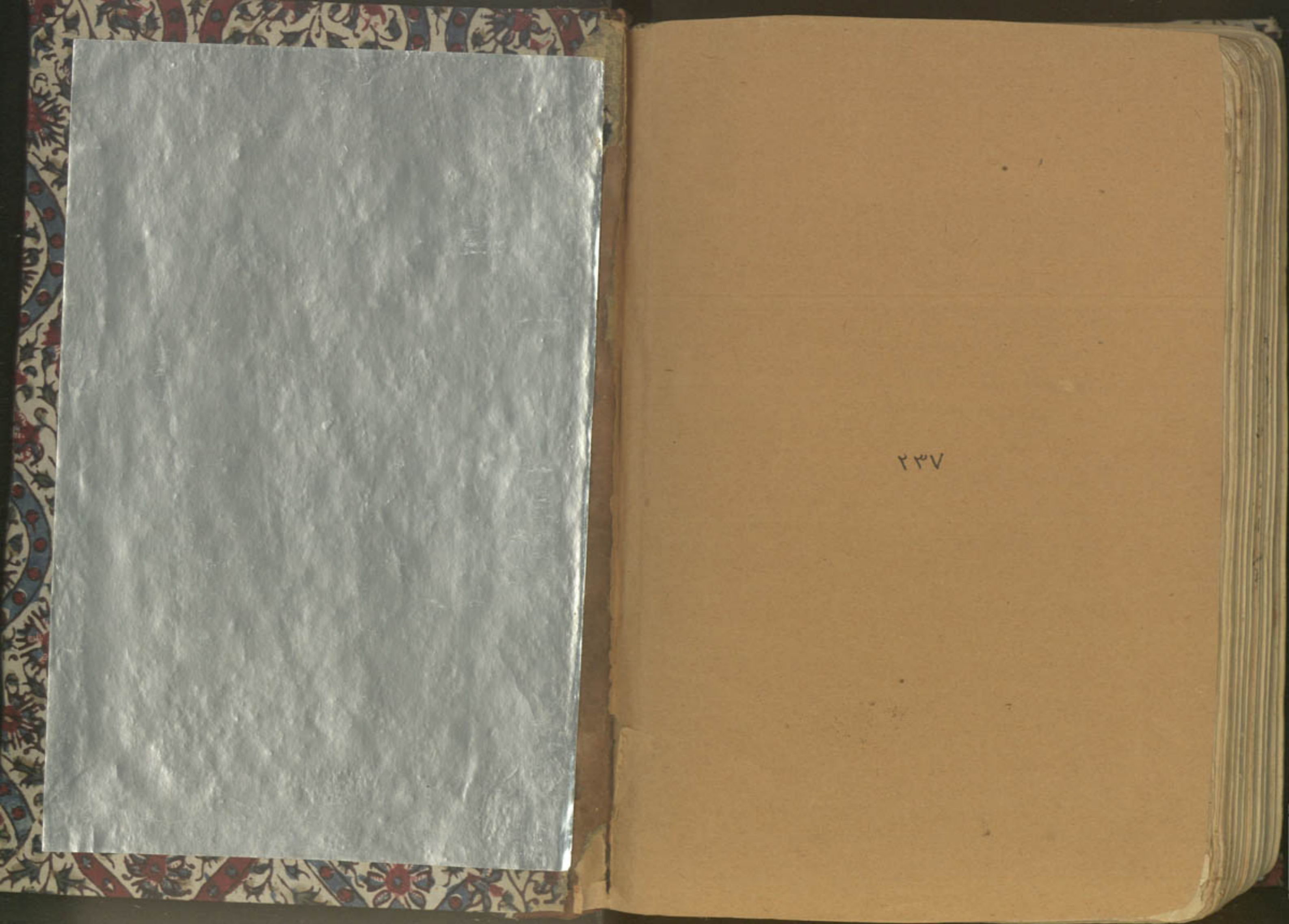
احكم الحاكمين وهو اعلم العالمين فهذا التفصيل قول ابليس لعنه الله اعلم الشاكرين فتبعهم وراعه
حقه واعلم انك لن تحرم قط خيرا انت تمناه الا من قبل النقص فاعلم ذلك ثم يمن عليك
بابقائها كما من عليك بابتدائها على ما نذكر في الاصل الثاني انه الودود الرحيم الاصل الثاني
ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذي لا يعرف قدرها هو الكفور الذي كفرها ولا يؤدي
شكرها ودليل ذلك قوله تع واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الاية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد بالنعم
العظام والايادي الجسام في باب الدين ومكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة
الرفيعة عند آياتنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كثير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا
فمال الى الدنيا الخبيثة الحقيرة واثر شهوة النفس الدنية ولم يعلم ان الدنيا
كلها بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة
وانما الكرامة كلها عنده في كسرة تطعم او عراق العظم الذي ليس عليه لحم ما يذقه تومي اليه
سوا تقعده على سرير ملك او تقيمه في التراب والقذر فهو يعني بالخسيسة
دنيئة وكراهته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف
حق الانتباه من كرامتنا فكلت بصيرته وسائر متعلم القربة او حبته بالالتفات
الى غيرها والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه
نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه
جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما اعطيناه
من

من فضلنا فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه
امثاله ذلك رجيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه
منه ويجعله فوق سائر خدامه وحجابه ويأمره بملازمة بابه ثم امره ان ينزل في موضع آخر
المقصود ويرفع له الاسرة وينصب له الموائد ويزين له الجواري ويقام له الغلمان
حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما وابن حال خدمته الى ملكه وولايته
والساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سايسا للدواب
ياكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه
ولا يلتفت الى ماله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويمد يده
ويسال له كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه ويبسطها ويعظم ما في يد السايس
الملك اذا نظر اليه على هذه الحالة يقول هذا سفيه خسيس الهمة لم يعرف حق
نعمنا ولم يرافقه واعزازنا فجعلنا ما التقريب الى حضرتنا مع ما احضرنا اليه من
عنايتنا واشتغاله في المزابل وصرف الايادي ساهيا الا ساقط الهمة قليل
التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا هذا حال العالم اذا مال الى الدنيا
والعابد اذا اتبع الهوى بعدما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفة اياته
وشريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك ويصير الى احقر شيء عند الله واهونه
عنده ويرغب فيه ويحرص عليه ويكون في قلبه احب اليه من جميع ما اعطى
من تلك النعم الشريفة من العلم والعبادة والحكم والحقايق وكذلك من خصه

الله تعالى بانواع توفيقه وعصمته و زينه بانوار خدمته وعبادته و يديم النظر اليه
بالرحمة في اكثر اوقاته و يباهي به ملايكته واعطاه على بابه العبادة والوجاهة واحله
محل الشفاعة وانزله منزلة الاعزة حتى اذا صار بحيث لو دعاه لاجابه ولباه ولو ساله
اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم عليه لابره واوفاه ولو خطر
بباله شي لاعطاه قبل ان يساله بلسانه فمن كانت هذه حالة ثم لا يعرف قدر هذا المنعم ولم ينظر
الى قدر هذه النعمة فيعدل الى شهوة ردية لا حياء لها او لعقة من الدنيا الدنية التي لا بقاء لها
ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن العظام وعدا واوعد في الاخرة من
الثواب العظيم والنعيم المقيم فما احقرها من بشر وما اسوءه من عبد وما اعظم خطره
لو علم وما افحش صنعه لو فهم فنسال الله تعالى البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة
رحمته انه ارحم الراحمين فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود
حتى تعرف قدر نعم الله عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا
وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون بما اولاك ربك من نعمة الدين
اما تسمع قوله لسيد المرسلين صلى الله عليه اجمعين ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم لا تمدن عينيك الاية معناه الاية تقديره ان كل من اوتي القران
العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له رغبة
فيها فليدم الشكر على ذلك فانها الكرامة التي حرم خليله ابرهيم صلى الله عليه وسلم ان
يمن بها على ابيه لم يفعل وحرم حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله ان يمن بها على عمه ابي طالب
لم

لم يفعل واما حطام الدنيا فانه يصبه الله على كل كافر ملحود فرعون وهامان وزنديق وجاهل
وفاسق الذي هم اهون خلقه عليه حتى غمرهم بها وصرفها عن كل نبي وصديق وعالم وعابد
الذين هم اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ومن عليهم بان لا يحوجهم
الى غيرها حتى قال تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون ولو اشا ان ازينكما بزينة علم
فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغب بكما عنه وكذلك
افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك العرة
واني لاجنبهم سكونها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم من كرامتي وقال
الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
الاية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت تبصر وقل الحمد لله الذي من علينا بما من به انبيايه
واصفيايه وصرف عنا فتنته اعدايه فنحظى بالشكر الاوفر والحمد الاكثر والمنة
الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام كانها ادني في الاخرى ان لا يغتر لتلك وتمادك
عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول
الدنيا واخذت في شكر نعمة الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت بقوم بذلك
ولا قضيت بعض الحق لما فضلك من الفضل العظيم فلتة واعلم ان الموضع لا يحتمل
ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف الف ورقة لكان مبلغ
علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه كالقطرة في بحار الدنيا باسرها
اما تسمع ذلك قوله تعالى لسيد المرسلين صلى الله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

و ... قوله تعالى كما انكم نعم الايمة وقال تعالى للقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان كنتم [illegible] وقد [illegible] لا يعرفا [illegible] الحمد لله على الاسلام فقال [illegible]
نعمة عظيمة [illegible] وقدم البشير على يعقوب صلى الله عليه قال على اى دين هو تركته
قال على الاسلام قال الان تمت النعمة وقيل من كلمة احب الى الله تعالى [illegible]
عنده في الشكر [illegible] يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا [illegible]
ان تغفل الشكر [illegible] في الحال من [illegible] المعرفة والتوفيق [illegible]
فان مع ذلك لا تضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفيان الثوري
يقول ما امن احد على دينه ان يسلب وكان شيخنا يقول اذا [illegible] الملكات
[illegible] فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدري ماذا يكون
من العاقبة وماذا سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض
الافات وقال بعضهم يا معشر المغترين [illegible] ان تحتها انواع النعم [illegible]
عصمة [illegible] في حقائق [illegible] على [illegible]
[illegible] فتول [illegible] القول [illegible] بالستر [illegible]
[illegible] ما يخدع به العبد [illegible] الالطاف والكرامات ولذلك قال تعالى
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قيل [illegible] عليهم النعم [illegible] الشكر [illegible]
انشد القايل احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر


۲۳۷

